مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية
الموقع الإلكتروني https://uqu.edu.sa/jill
جامعة أم القرى UMM AL-QURA UNIVERSITY

التلازم بين الأخلاق والعقيدة عند ابن رجب الحنبلي دراسة عقدية تحليلية

The correlation between morals and belief according to Ibn Rajab al-Hanbali "A Analytical Dogmatic Study

محمد إبراهيم الحمد
أستاذ مشارك، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة القصيم، القصيم، المملكة العربية السعودية

Mohamm edIbrahim alhamad
Associate Professor, Department of Creed and Contemporary Schools of Thought, College of Sharia and Islamic Studies, Qassim University, Qassim, Kingdom of Saudi Arabia

تاريخ التقديم:2024/04/17: تاريخ ارسال التعديلات: 2024/04/30 تاريخ القبول:2024/05/05

Received:17/04/2024 Revised:30/04/2024 Accepted: 05/05/2024

الملخص:

هذا البحث يعنى بموضوع: (التلازم بين الأخلاق والعقيدة عند ابن رجب الحنبلي من خلال كتابه جامع العلوم والحكم) ويهدف ذلك البحث إلى إبراز ذلك التلازم من خلال دراسة عقدية تحليلية وتكمن أهمية البحث في كونه يبرز مظهراً من مظاهرِ كمال الإسلام، وارتباطِ بعضه ببعض، وأنه يتعلق بعالم متفنن ينظر إلى الشريعة من جميع جوانبها، ولمسيس الحاجة لربط السلوك بالمعتقد، وما ينبغي أن يكون عليه أهل المعتقد السليم من الخلق الحسن، ومجانبة الخلق السيئ، ولكونه يجمع بين علمي: العقيدة والأخلاق. ومن خلال هذا البحث يتّضح جليًّا أن التلازم بين الأخلاق والعقيدة حاضرٌ في فكر ابن رجب، وذلك من خلال ربطه بين عموم الأخلاقِ وأفرادِها وبين العقيدة سلامةً، وزيغاً، وتأثُّراً، وتأثيراً. من خلال ربطه حسنَ الخلقِ وأفرادَه بأسماء الدِّين المحمودة شرعاً كالإسلام، والإيمان، والإحسان، والبر، والتقوى. ومن خلال ربطه سوءَ الخلقِ وأفرادَه بالأسماء المذمومة شرعاً كالنفاق، والشرك، والكفر، والفجور، والفسوق، والإثم والعدوان. وقد طبّق ابن رجب ذلك التلازم عمليًّا من خلال دراسته لحسن الخلق؛ حيث أوضح مفهومَه، وفضائلَه، ودخولَه في مسمى الإسلام، والإيمان والإحسان، وقرر علاقة حسن الخلق بالبر والتقوى. وقرر التلازم بين الحياء بأنواعه، والكرم بأنواعه، والصبر بأنواعه وبين سلامة العقيدة. وقرر ارتباط سوء الخلق بالأسماء المذمومة شرعاً كالنفاق، والشرك، والكفر، والفجور، والفسوق، والإثم، والعدوان. وقرر التلازمَ بين الكذبِ، والخُلْفِ، والفجور والخيانة، والحسد، والكبر، والغضب، والظلم، وبين زيغ العقيد.

الكلمات المفتاحية: التلازم، الأخلاق، العقيدة ، ابن رجب.

Abstract:

This research is about: (The correlation between morals and belief according to Ibn Rajab al-Hanbali) in his book (Jami` al-Ulum wal-Hikam). The aim of this research is to highlight this correlation through an analytical and doctrinal study. Its importance lies in the fact that it highlights the perfection of Islam, and the connection in its teachings, and that it is related to a great and significant scholar. The most important result of this research is that Ibn Rajab links good morals to the integrity of faith, and links bad morals to the deviation of faith.

Keywords: correlation, ethics, doctrine, Ibn Rajab.

معلومات المراسل : محمد إبراهيم الحمد
البريد الالكتروني الرسمي : alhamad2654@gmail.com

Doi: https://doi.org/10.54940/si44672118
1658-8738 / © 2025 by the Authors.
Published ***by J. Umm Al-Qura Univ. Shariah. Sci. Islamic Stud.***

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد فإن الإسلام هو الدين الذي أكمله الله لعباده، وأتم به النعمة، ورضيه لهم ديناً، وجعله عامًّا تامًّا شاملاً صالحاً لكل زمان، ومكان، وحال، وأمة.

وأمر -جل ثناؤه- الناس أن يدخلوا في الدين كافة، وأن يأخذوا به كلِّه، ونعى على الذين جعلوا القرآن عضين، فآمنوا ببعض الكتاب، وكفروا ببعض.

ومن كمال الدين وشموله ارتباطُ بعضِه ببعض، وذلك كما قرَّرَتْه نصوص الوحيين.

ومما يدخل في ذلك القبيل ارتباطُ الأخلاق بالعقيدة، وتلازمُهما تلازماً لا ينفك؛ إذ العقيدة ليست تصوُّراً ذهنيًّا منفصلاً عن العمل.

ومن هنا كانت عنايةُ بعضِ علماء المِلَّة في هذا الباب بالغة؛ إذ قرروا ذلك المعنى في مصنفاتهم التي أودعوا فيها عقائدهم؛ فلم يكتفوا بتقرير مسائل الاعتقاد فحسب، وإنما ضمنوها -مع ذلك- اقتضاءَ العلمِ العملَ، والتلازم بين العقيدة والشريعة، وارتباط الأخلاق بالعقيدة.

ولعل مما يميز بعض كتب الاعتقاد عن بعض عنايتَها في هذا الباب، كما في صنيع ابن تيمية في رسالته المشهورة (العقيدة الواسطية) التي لقيت ولا زالت تلقى القبول المنقطع النظير منذ أن كتبها إلى يومنا الحاضر؛ فَبَعْدَ أن فصَّل القول في تقرير عقيدة أهل السنة ختم تلك العقيدة بتقرير عظيم لمكمِّلات العقيدة، وما ينبغي أن يكون أهلها عليه من مكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال.

وقد قال الشيخ عبدالرحمن السعدي عن ذلك التحرير: «هذا الكلام جامع واضح نادر جمعه في موضع واحد»[1].

هذا وإن من العلماء الذين نالت عنايتُهم ذلك الشأنَ الحافظَ ابنَ رجبٍ الحنبلي، فلقد عني بشأن التلازم بين الأخلاق والعقيدة أيما عناية، وخصوصاً في كتابه الفذ (جامع العلوم والحكم) حيث أودعه مادة غزيرة متناثرة صالحة للدراسة.

وبعد استخارة واستشارة وقع الاختيار على البحث في هذا الموضوع فجاء حاملاً المسمى التالي: التلازم بين الأخلاق والعقيدة عند ابن رجب الحنبلي «دراسة عقدية تحليلية».

مشكلة البحث

تكمن في السؤال التالي:

- ما التلازم بين الأخلاق والعقيدة عند ابن رجب؟

ويتفرع عن هذا السؤالِ الأسئلةُ التاليةُ:

1. ما التلازم بين عموم الخُلُق والعقيدة عنده؟
2. ما التلازم بين أفراد حسن الخلق وسلامة العقيدة عنده؟
3. ما التلازم بين أفراد سوء الخلق وزيغ العقيدة عنده؟

أهداف البحث

يهدف هذا البحث إلى إبراز تقريرات ابن رجب للتلازم بين الأخلاق والعقيدة، وما يندرج تحت ذلك.

أهمية الموضوع

للبحث في هذا الموضوع أهمية بالغة، ويمكن إجمالها فيما يلي:

1. أنه يبرز مظهراً من مظاهر كمال الإسلام، ومحاسنه، وارتباط بعضه ببعض.
2. تعلق الموضوع بعالم متفنن ينظر إلى الشريعة من جميع جوانبها.
3. مسيس الحاجة لربط السلوك بالمعتقد، والتأكيد على أصحاب العقيدة الصحيحة بأن يتحلوا بأحسن الأخلاق، ويتخلوا عن سيِّئها.
4. كونه يجمع بين علمي العقيدة وعلم الأخلاق؛ إذ الأخلاق لها بُعْد عقدي، وبُعْد فلسفي، وبُعْد اجتماعي، وبُعْد أخلاقي، وهذا البحث سيتطرق لها من جانبها العقدي.

حدود البحث

اقتضت طبيعة البحث أن ينحصر في كتاب (جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم) لابن رجب الحنبلي، وذلك للأسباب التالية:

1. أنه أشهر كتبه، وأوعبها، وأشملها؛ فقد استجمع فيه ابن رجب سائر علومه، وشرح فيه -كما يقول- معاني كلمات النبي صلى الله عليه وسلم الجوامع، وما تضمنته من الآداب والحِكم، والمعارف، والأحكام والشرائع.
2. اشتمال ذلك الكتاب على منهجه في بيان التلازم بين الأخلاق والعقيدة وذلك في مواضع متفرقة من الكتاب.

أما الطبعة التي سيدور البحث حولها فهي التي جاءت بتحقيق الشيخ شعيب الأرناؤوط، والشيخ إبراهيم باجس، طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة، 1412هـ - 1991م، وجاء في مجلد واحد من جزأين، الجزء الأول وعدد صفحاته (532) صفحة، والثاني وعدد وصفحاته (540) صفحة؛ فيكون المجموع (1072) صفحة.

الدراسات السابقة

البحث يدور حول ناحية علمية عند ابن رجب، أما تلك الناحية وهي التلازم بين الأخلاق والعقيدة عنده فلم يقف الباحث على دراسة حولها.

أما ابن رجب فهناك دراسات عدة حول جوانب من شخصيته العلمية، وأهمها وأقربها للبحث ما يلي:

1. ابن رجب الحنبلي وأثره في توضيح عقيدة السلف: وهي رسالة دكتوراه تقدم بها الدكتور عبدالله بن سليمان الغفيلي لقسم العقيدة بكلية الدعوة وأصول الدين في الجامعة الإسلامية، وقد طبعت عام 1418هـ - 1998م في دار المسير، المملكة العربية السعودية، الرياض.

وقد اشتملت هذه الرسالة على ترجمة لابن رجب، وأثره في توضيح مباحث الإيمان وما يتعلق بها.

2. منهج الحافظ ابن رجب الحنبلي في العقيدة: للدكتور علي بن عبدالعزيز الشبل، وقد طبعت في دار العاصمة في الرياض ط1، عام 1421هـ - 2001م.

وقد اشتملت على ترجمة ابن رجب، وعلى بابين: أما الباب الأول فكان عن الأصول العامة لمنهج ابن رجب في تلقي العقيدة، ومنهجه في الاستدلال.

(1) التنبيهات اللطيفة للشيخ عبدالرحمن السعدي، ص106.

وأما الباب الثاني، فكان حول مسائل العقيدة مرتبة على حديث جبريل المشهور.

3. المسائل العقدية في كتاب فتح الباري في شرح صحيح البخاري للحافظ ابن رجب الحنبلي دراسة وصفية استقرائية: وهي رسالة دكتوراه تقدم بها الباحث: صالح سالم عباد حسين إلى شعبة العقيدة في دارة القرآن الكريم والدراسات الإسلامية في جامعة القرآن والعلوم الإسلامية في جمهورية السودان عام 1439هـ- 2018م.

وقد جاءت في تمهيد في سيرة ابن رجب، وثلاثة فصول دارت حول المسائل العقدية في باب الإيمان، والإلهيات، والسمعيات، والعبادات، ومسائل متفرقة.

فهذه هي أهم الدراسات التي تَمُتُّ بسبب إلى موضوع البحث، وهي تدور حول أثره ومنهجه في العقيدة.

أما موضوع التلازم بين الأخلاق والعقيدة عنده فلم أقف على دراسة حوله.

تقسيمات البحث

جاء البحث مشتملاً على تمهيد، ومدخل، وثلاثة مباحث، وذلك كما يلي:

تمهيد: تعريف بمصطلحات البحث وابن رجب، وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: تعريف بمصطلحات البحث، وفيها:

أولاً: تعريف التلازم.

ثانياً: تعريف الأخلاق.

ثالثاً: تعريف العقيدة.

المسألة الثانية: تعريف بابن رجب.

مدخل: مجمل منهج ابن رجب العام في تقرير التلازم بين الأخلاق والعقيدة.

المبحث الأول: تقرير ابن رجب للتلازم بين عموم الخُلُق والعقيدة: وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تفسيره لحسن الخلق، وبيانه لفضائله، ودخوله في مسمى الإسلام والإيمان.

المطلب الثاني: تقريره لعلاقة حسن الخلق بالبر والتقوى.

المبحث الثاني: تقرير ابن رجب للتلازم بين أفراد حسن الخلق وسلامة العقيدة: وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تقريره للتلازم بين الحياء وسلامة العقيدة.

المطلب الثاني: تقريره للتلازم بين الكرم وسلامة العقيدة.

المطلب الثالث: تقريره للتلازم بين الصبر وسلامة العقيدة.

المبحث الثالث: تقرير ابن رجب للتلازم بين أفراد سوء الخلق وزيغ العقيدة: وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تقريره للتلازم بين الكذب، والخُلْف، والفجور، والغدر، والخيانة وبين زيغ العقيدة.

المطلب الثاني: تقريره للتلازم بين الحسد، والكبر، والغضب، والظلم وبين زيغ العقيدة.

الخاتمة: وفيها بيان لأهم النتائج والتوصيات.

تمهيد: تعريف بمصطلحات البحث وابن رجب.

المسألة الأولى: تعريف بمصطلحات البحث:

أولاً: تعريف التلازم: أصل هذه المادة كلمة (لزم).

وهي على اختلاف تصاريفها تدور حول الربط، والإلصاق، والتعلق دون انفكاك.

قال ابن فارس: «لزم: اللام، والزاء، والميم أصل صحيح يدل على مصاحبة الشيء بالشيء دائماً، يقال: لَزِمَهُ يَلْزَمُه»[2].

ولهذا يقال: لزم الشيء يلزم لزوماً: أي وجب، وأصبح لزاماً ضروريًّا.

وألزمته الشيء: جعلته واجباً عليه، وألصقته، أو ربطته به.

واللازم: ما يمتنع انفكاكه عن الشيء، واللزوم بمعنى امتناع الانفكاك.

وإطلاق الملازمة والتلازم على معنى اللزوم كثير[3].

فالتلازم -إذا- يعني ارتباط شيء بشيء، وتعلقه به تعلقاً غير قابل للانفكاك.

ثانياً: تعريف الأخلاق: أصل هذه المادة الوضعي (خلق).

وجمعها: أخلاق، ويقال: الخُلُق، والخُلْق، ويطلق على الدين والسجية، والجِبِلَّة، والطبع، والمروءة[4].

والخُلُق يطلق على الفعل الحسن والقبيح؛ فإن كان الفعل حسناً قيل: خلق حسن، وإن كان قبيحاً قيل: خلق سيِّئ، ولهذا يقال: حُسْنُ الخلق، وسوء الخلق، وإن كان الغالب على كلمة أخلاق وخُلُق أنها عند الإطلاق تقال على سبيل المدح، فيقال: فلان ذو خلق، أو صاحب أخلاق.

وإذا قيِّدت بالسوء فذلك من قبيل الذم.

قال الجرجاني معرِّفاً معنى الخلق: «الخلق عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر ورويَّة»[5].

ثم بيَّن أنه إذا كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة عقلاً وشرعاً بسهولة سميت الهيئةُ خلقاً حسناً.

وإن كان الصادرُ عنها الأفعالَ القبيحةَ سميت الهيئة التي هي المصدر خلقاً سيئاً[6].

وبناءً على ذلك فإن حسن الخلق هو: التحلي بالفضائل، والتخلي من الرذائل، وسوء الخلق عكس ذلك.

ثم إن الخلق قد يكون في بعض الناس غريزة وطبعاً وسجية وجِبِلَّة، ولا يكون في بعضهم إلا بالدَّرْبة، والاجتهاد والرياضة، ومغالبة الطبع.

وهذا يعني أن الأخلاق قابلة للتغيير؛ إذ قد يرتقي الإنسان بخلقه إذا أخذ برياضة نفسه، وحملها على المكارم[7].

(2) معجم مقاييس اللغة لابن فارس 245/5.
(3) انظر: التعريفات للجرجاني، ص190، والكليات للكفوي، ص795-796، ومعجم ألفاظ القرآن للأستاذ حامد عبدالقادر 219/5-220.
(4) انظر: معجم مقاييس اللغة 213/2-214، ولسان العرب لابن منظور 86/10-87، والكليات، ص429.
(5) التعريفات، ص101، وانظر تهذيب الأخلاق للجاحظ، ص12.
(6) انظر: التعريفات، ص101.
(7) انظر تفصيل ذلك في: أدب الدنيا والدين للماوردي ص243-244، وجوامع الآداب في أخلاق الأنجاب للقاسمي، ص4.

وما من ريب أن أعظم ما يغير الأخلاق، ويرتقي بها الأخذ بوصايا الكتاب والسنة، واحتساب ثواب ذلك عند الله –عز وجل– وذلك ما سيتبين في غضون هذا البحث.

ثالثاً: تعريف كلمة العقيدة: أصل هذه الكلمة الوضعي مادة (عقد).

«وهي تدور حول معاني الشد، والشدة، والإبرام، والتوثق والإحكام»[8].

قال ابن فارس: «العين، والقاف، والدال: أصل واحد يدل على شدٍّ وشدَّة، ووثوق، وإليه ترجع فروع الباب»[9].

وإذا أطلقت العقيدة فهي تعني حكم الذهن الجازم القاطع الذي يتخذه الإنسان مذهباً، وديناً يدين به بغض النظر عن صحة ذلك من عدمه.

والعقيدة الإسلامية هي الإيمان الجازم بأركان الإيمان، وبكل ما جاء في الكتاب والسنة الصحيحة من أصول الدين، وأحكامه، وأخباره، وما أجمع عليه السلف الصالح، والتسليم لله –تعالى– في الحكم، والأمر والقدر والشرع، ولرسوله صلى الله عليه وسلم بالطاعة والتحكيم والاتباع.

فهذا –إذاً– هو تعريف التلازم، والأخلاق، والعقيدة كلٌّ واحدةٍ منها على حدة.

وعلى هذا فإن عنوان البحث يعني الارتباط الوثيق بين الأخلاق والعقيدة؛ إذ العقيدة منبع الأخلاق، وهي التي تؤثر في سلوك الإنسان وفي خُلُقه رِفعَةً أو حِطَّةً بحسب سلامتها أو زيغها.

والسلوك كذلك يؤثر على كمال العقيدة وصفائها بحسب حسنه، أو سوئه.

ولا ريب أن عقيدة الإسلام هي عقيدة الأنبياء –عليهم السلام– وهي أصح العقائد، وأصفاها، بل لا توجد عقيدة أصح منها؛ إذ كل عقيدة سواها باطلة: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ [آل عمران:19]، ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران:85].

ولهذه العقيدة أعظم الأثر في أخلاق معتنقيها، والخلل في أخلاق أفرادهم ناتج عن خلل في معتقده أو عمله.

وكما أن عقيدة الفرد تؤثر في عمله، فكذلك عمله وسلوكه يؤثران في عقيدته، وتوحيده، وإيمانه؛ فالتلازم –إذاً–تلازمٌ لا ينفك، والعلاقة بين الأخلاق والعقيدة علاقة تأثر وتأثير.

فالعقيدة السليمة تؤثر في سلامة عمل صاحبها.

والعقيدة السليمة التي تكون في قلبه تتأثر – كذلك – بعمل صاحبها ثباتاً وقوة، أو تزعزعاً وضعفاً، وربما اضمحلالاً.

وما أجمل قول ابن القيم في ذلك: «التوحيد ألطف شيء، وأنزهه، وأنظفه، وأصفاه؛ فأدنى شيء يخدشه، ويدنّسه، ويؤثر فيه؛ فهو كأبيض ثوبٍ يكون؛ يؤثر فيه أدنى أثر، وكالمرآة الصافية جدًّا أدنى شيء يؤثر فيها؛ ولهذا تشوشه اللحظة، واللفظة، والشهوة الخفية؛ فإن بادر صاحبه وقلع ذلك الأثر بضدِّه وإلا استحكم، وصار طبعاً يتعسَّر عليه قلعه»[10].

ومما يدل على ذلك التأثير ما جاء في قول النبي صلى الله عليه وسلم: «تُعْرَضُ الفِتَنُ علَى القُلُوبِ كالحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فأيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَها، نُكِتَ فيه نُكْتَةٌ سَوْداءُ، وأَيُّ قَلْبٍ أنْكَرَها، نُكِتَ فيه نُكْتَةٌ بَيْضاءُ، حتَّى تَصِيرَ علَى قَلْبَيْنِ، علَى أبْيَضَ مِثْلِ الصَّفا فلا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ ما دامَتِ السَّمَواتُ والأرْضُ، والآخَرُ أسْوَدُ مُرْبادًّا كالْكُوزِ، مُجَخِّيًا لا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، ولا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إلَّا ما أُشْرِبَ مِن هَواه»[11].

المسألة الثانية: تعريف بابن رجب:

اعتنت كتب التراجم في سيرة ابن رجب، وعلمه، وآثاره، وأخلاقه، ومكانته العلمية.

وكذلك الرسائل العلمية التي تناولته من جوانب شتى؛ لذا لن يُفصَّل في ذلك؛ لما ذُكر، ولأن المقام ههنا لا يسمح بالتفصيل.

ومهما يك من شيء؛ فهذا تعريف يسيرٌ به، وذلك من خلال ما يلي:

أولاً: حياته:

1. اسمه ونسبه: هو الحافظ المتفنن العلامة المحدث الفقيه زين الدين عبدالرحمن بن أحمد بن عبدالرحمن بن الحسن بن محمد بن مسعود السلامي البغدادي ثم الدمشقي المشهور بابن رجب الحنبلي.

ورجب لقب لجدِّه عبدالرحمن، وقد اشتهر به وعرف.

2. ولادته: اتفقت المصادر التي ترجمت له على أنه ولد في بغداد سنة 736هـ.

3. أسرته: ينتمي ابن رجب إلى أسرة علمية؛ إذ كان جده عبدالرحمن بن الحسن من أهل العلم، وله حلقة في بغداد يقرأ عليه فيها الحديث، وأبوه الشيخ المقرئ المحدث شهاب الدين أحمد ولد في بغداد، ونشأ بها، وسمع من مشايخها، وقرأ بالروايات، ثم رحل إلى دمشق بأولاده سنة 744هـ، فسمع بها، وبالحجاز، والقدس، وجلس للإقراء بدمشق[12].

ثانياً: علمه: تلقى ابن رجب العلم على أيدي الأكابر من علماء عصره منذ بواكير عمره؛ إذ كان والده يحرص على إسماعه الحديث من الشيوخ الثقات المشهورين بالرواية في مختلف البلاد الإسلامية، ويأخذ له الإجازات؛ لتكون حافزاً له على مواصلة العلم؛ حتى برز في شتى العلوم، وبزَّ أقرانه؛ لما أوتي من قوة الحفظ، وصحة الفهم؛ فصار محط الأنظار، وموضع الإعجاب لمعاصريه ومن ثم جلس للتدريس، وتصدى للإفادة؛ فأقبل عليه الطلبة يأخذون عنه، ويفيدون من علومه، ويسمعون مروياته؛ فتخرج به جمع من الطلبة والقضاة الذين نالوا مراتب عالية، وخلَّفوا آثاراً علميةً نافعة[13].

وقد زيَّن ذلك العلمَ بأخلاق العلماء؛ فصار محلَّ الثناء من قبل أهل العلم.

قال عنه القاضي ابن اللحام: «الشيخ الإمام أوحد الأنام، قدوة الحفاظ، جامع الشتات والفضائل... الفقيه الزاهد البارع الأصولي المفيد المحدِّث... الإمام العالم العلامة الأوحد الحافظ شيخ الإسلام، مجلي المشكلات، وموضح المبهمات، أبو الفرج عبدالرحمن بن زين الدين بن رجب البغدادي»[14].

وقال عنه ابن عبدالهادي: «قدوة الأنام، جامع الشتات والفضائل، الفقيه الزاهد، البارع الأصولي الفقيه المحدِّث»[15].

(8) انظر: معجم مقاييس اللغة 86/4–90، والقاموس للفيروز آبادي، ص383–384.
(9) معجم مقاييس اللغة 86/4.
(10) الفوائد لابن القيم، ص282.

(11) رواه مسلم (144).
(12) انظر تفصيل ترجمته في: الدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني 321/2، ووجيز الكلام للسخاوي 308/1، وشذرات الذهب لابن العماد 339/6.
(13) انظر: مقدمة جامع العلوم والحكم 26/1–38.
(14) الجوهر المنضد في طبقات متأخري أصحاب أحمد ليوسف بن الحسن بن عبدالهادي المعروف بابن المبرد، ص47.
(15) الجوهر المنضد في طبقات متأخري أصحاب أحمد ليوسف بن الحسن بن عبدالهادي المعروف بابن المبرد، ص46.

والكلام في ذلك الشأن يطول، والمقام لا يتسع لذلك.

ثالثاً: آثاره: يعد ابن رجب من أعلى طبقات العلماء في عصره، وأقدرهم على التأليف، وأمهرهم في التصنيف، وأكثرهم تنوعاً وتفنناً وإجادة وإتقاناً سواء في التفسير، أو الحديث، أو الفقه، أو التاريخ، أو الرقائق، أو غير ذلك[16].

قال عنه يوسف بن عبدالهادي بعد أن ذكر طائفة كبيرة من مؤلفاته: «وغير ذلك من الكتب النافعة المفيدة التي لم نر مثلها، وله تحقيق في المسائل على نصوص أحمد، وكلام الأصحاب، وله مسائل كثيرة غريبة، وأشياء حسنة يعجز الإنسان عن حصرها»[17].

وكان من أعظم ميزاته جودة التحرير، واستجماع العلوم، وتوظيف المعارف للغرض الذي يرمي إليه؛ فلا غرو أن تجد في الواحد من مؤلفاته مجموعة من العلوم التي يتداخل بعضها ببعض؛ لخدمة المسائل التي يروم بحثها وتحقيقها.

وقد خلَّف آثاراً كثيرة سواء في علوم القرآن، أو الحديث، أو التراجم، أو الفضائل، أو الوعظ، أو الرقائق.

ومنها على سبيل المثال تفسير سورة الفاتحة، والنصر، والإخلاص، والاستغناء بالقرآن، وفتح الباري بشرح صحيح البخاري، والذيل على طبقات الحنابلة، ولطائف المعارف، وفضل علم السلف على علم الخلف.

ومن أعظم تلك المؤلفات، وأكثرها شهرةً وسيرورةً، وأدلِّها على علمه، وموسوعيته كتاب جامع العلوم والحكم.

وقد اعتنى في ذلك الكتاب بالأحاديث النبوية رواية ودراية، وتفسير غريبها، وشرح معانيها، وبيان أحكامها، وما يترتب عليها من الفقه والخلاف، وتحرير مسائل الاعتقاد، وما جرى مجرى ذلك.

وقد أَشْرَبَ ذلك الشرحَ بالحكم، واللطائف، والفرائد، والأخلاق، والمأثور عن السلف الصالح؛ فكان من أجلِّ الشروح، وأكثرها أهمية، وأحفلها بالفائدة.

بل يرى بعض أهل العلم أن هذا الكتاب بعامة، وفصول الأخلاق منه بخاصة تمثل الكثير من حياة ابن رجب، وأن هناك ترابطاً قويًّا بين ما ذكره في كتابه، وما ذكره عنه من ترجموا له[18].

رابعاً: عقيدته: كان ابن رجب – رحمه الله – على طريقة السلف في العقيدة من ناحية التلقي، والاستدلال، والتقرير؛ فكان سائراً في ذلك على وَفْقِ الطريقة السلفية التي تجمع بين النقل والعقل، والعلم والعمل، والوسطية بين الغلو والجفاء.

وهو – كذلك – موافق لعقيدة السلف في أصول الدين، وما يتعلق بها من مسائل.

والكلام في هذه المسألة يطول[19].

مدخل: مجمل منهج ابن رجب في تقرير التلازم بين الأخلاق والعقيدة.

قبل الدخول في غضون البحث يحسن الوقوف على مجمل المنهج الذي سار عليه ابن رجب في تقرير ذلك التلازم؛ إذ المتتبع لكتاب جامع العلوم والحكم يلحظ أن لابن رجب منهجاً عامًّا سار عليه في تحقيق التلازم بين الأخلاق والعقيدة، ويمكن تلخيصه فيما يلي:

1. أنه يربط عمومَ حسنِ الخلقِ، وأفرادَه بأسماء الدين، وأصوله العظام المحمودة المدوحة شرعاً كالإسلام، والإيمان، والإحسان، والبر، والتقوى، ونحو ذلك، مما يندرج تحت تلك الأسماء.

2. أنه يربط عموم سوء الخلق وأفرادَه بالأسماء المذمومة شرعاً كالنفاق، والكفر، والشرك، والفجور، والفسق، والإثم، ونحو ذلك، وما يندرج تحتها من أصول الشر ومراتبه.

وهو في ذلك كله ينطلق من النصوص، ويدور حولها.

3. أنه لم يتعرض لبعض أفراد الأخلاق، وإن كانت تعد أصولاً؛ إذ لم يكن قصده دراسة الأخلاق، وإنما تأتي عرضاً في غضون شرحه للأحاديث.

4. أنه يفصِّل القول في بعض أفراد حسن الخلق كالحياء، والصبر، والكرم، وأما بعضها الآخر فقد يأتي ضمن سياق عام، أو عند الكلام على بعض أفراد سوء الخلق كما في حديثه عن الحلم؛ فقد تطرق له عند حديثه عن الغضب.

وعكس ذلك بعض أفراد سوء الخلق؛ إذ يفصِّل القول فيها كما في شرحه لحديث: «آية المنافق...».

ويَمُرُّ ببعضها الآخر في سياق الكلام على أضدادها كما في كلامه على قلة الحياء عند كلامه على الحياء.

أما منهجه التفصيلي فسيتضح من خلال المباحث التالية.

المبحث الأول: تقرير ابن رجب للتلازم بين عموم الخُلُق والعقيدة.

والمقصود بعموم الخُلُقِ ههنا: الخلقُ العام الواسع دون الدخول بشيء من أفراده، وبغض النظر عن حسنه أو سوئه.

وابنُ رجب يرى أن علمَ الأخلاقِ أحدُ علومِ الإسلام، وقد أوضح ذلك في شرحه لحديث جبريل –عليه السلام– الذي رواه عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم، إذ طلع علينا رجلٌ شديدُ بياضِ الثياب، شديدُ سوادِ الشعرِ، لا يرى عليه أثرُ السفرِ، ولا يعرفه منا أحد...» الحديث.

ثم سأله عن الإسلام، والإيمان، والإحسان، والساعة، فكان جبريل – عليه السلام – يسأل والنبي صلى الله عليه وسلم يجيب[20].

وابن رجب من خلال شرحه لهذا الحديث قرر أن جميع العلوم والمعارف ترجع إلى هذا الحديث، وتدخل تحته، وأن جميع العلماء من فِرق الأمة لا تخرج علومهم التي يتكلمون فيها عن هذا الحديث وما دل عليه مجملاً أو مفصَّلاً، وذكر جملة مما يتكلم فيه الفقهاء من العبادات والأحكام، ثم قال: «ويبقى كثير من علم الإسلام والآداب والأخلاق لا يتكلم عنه إلا القليل منهم»[21].

وقد قرر ابن رجب التلازم بين عموم الأخلاق والعقيدة في مواضع عدة من كتابه جامع العلوم والحكم.

وهذا ما سيتبين من خلال المطلبين التاليين:

(16) انظر: مقدمة جامع العلوم والحكم، ص38.
(17) الجوهر المنضد، ص51-52.
(18) انظر: مقدمة جامع العلوم والحكم 11/1.
(19) انظر تفصيل ذلك في: الرسائل العلمية التي عنيت بذلك، وأهمها: ابن رجب الحنبلي وأثره في توضيح عقيدة السلف د. عبدالله الغفيلي، ومنهج الحافظ ابن رجب الحنبلي في العقيدة د. علي الشبل.
(20) انظر: صحيح مسلم (8).
(21) جامع العلوم والحكم 134/1.

المطلب الأول: تفسيره لحسن الخلق، وبيانه لفضائله، ودخوله في مسمى الإسلام والإيمان.

المسألة الأولى: تعرضه لتفسير حسن الخلق:

تطرق ابن رجب لذلك في مواضع عِدَّة، وأجلى ما في ذلك ما جاء في شرحه لحديث: «اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخُلُق حسن»[22].

فبعد أن شرح هذا الحديث، وفصَّل القول فيه ختم الكلام بما ورد عن السلف في تفسير حسن الخلق، وأهم ما جاء من تلك التفسيرات ما يلي:

1. ذكر عن الحسن أنه فسَّر حسن الخلق بالكرم، والبَذْلَة، والاحتمال[23].

والكرم معروف بأنواعه، والبذلة: العطية، والاحتمال: احتمال الأذى والمكاره كما قيل في تفسير حسن الخلق: بذل الندى، وكفُّ الأذى، واحتمال الأذى[24].

2. وذكر عن الشعبي قوله: «البذلة والعطية، والبِشْر الحسن»[25].

وهذا التعريف قريب من السابق، وزاد فيه: البِشر الحسن الذي يعني البشاشة وطلاقة الوجه.

3. وذكر أن ابن المبارك قال: «هو بسط الوجه، وبذل المعروف، وكف الأذى»[26].

4. وذكر عن إسحاق بن راهويه أنه فسَّر حسن الخلق بقوله: «بسط الوجه، وألا تغضب»[27].

يشير بذلك إلى البشاشة، والحلم، وهي تفسيرات متقاربة تعبر عن أمهات الفضائل، وأسس الأخلاق.

المسألة الثانية: بيانه لفضائل حسن الخلق:

فقد قرر أن النبي ﷺ جعل حسن الخلق أكمل خصال الإيمان، والإسلام، وقال مستدلاً على ذلك بقوله: «كما خرَّج الإمام أحمد[28] وأبو داود[29] من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: (أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً).

وخرَّجه محمد بن نصر المروزي[30]، وزاد فيه: (وإن المرء ليكون مؤمناً، وإن في خُلقه شيئاً؛ فينقص ذلك من إيمانه)»[31].

ثم ساق حديث أسامة بن شريك قال: قالوا: يا رسول الله ما أفضل ما أعطي المرء المسلم؟ قال: «حسن الخلق»[32].

وقال بعد ذلك مُعَلِّلاً: «أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن صاحب الخلق الحسن يبلغ بخلقه درجة الصائم القائم؛ لئلا يشتغل المريد للتقوى عن حسن الخلق بالصوم والصلاة، ويظن أن ذلك يقطعه عن فضلها»[33].

ثم ساق حديث: «إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم»[34].

ثم أورد أحاديث أُخَرَ تُبَيِّن أن حسن الخلق أثقل ما يوضع في الميزان، وأن صاحبه أقرب الناس إلى الله، وأقربهم من النبيين مجلساً يوم القيامة[35].

ومن خلال ما مضى من إيراد ابن رجب لتلك الأحاديث يتبين مدى رَبْطِه لحسن الخلق بكمال الإيمان، وزيادته، ومكانة صاحبه عند الله، وما يترتب على ثوابه من القرب من مجلس الأنبياء في اليوم الآخر.

المسألة الثالثة: تقريره أن حسن الخلق داخل في مسمى الإسلام والإيمان:

وذلك في شرحه لحديث جبريل المشهور، وفي ضمن ذلك الشرح عقد فصلاً قرر فيه أن الأعمال تدخل في مسمى الإسلام، ومسمى الإيمان، وذكر جملةً من ذلك كبعض أعمال الجوارح الظاهرة والباطنة؛ فذكر مما يدخل في أعمال الإسلام: سلامة القلب من الغش، والحسد، والحقد، وتوابع ذلك من أنواع الأذى.

وذكر مما يدخل في مسمى الإيمان جملةً من الأعمال والأخلاق، وذكر منها حسن الخلق[36].

وساق بعد ذلك عدداً من الأحاديث التي تؤكد هذا المعنى كالحديث الذي جاء في الصحيحين عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل: أي المسلمين أفضل؟ قال: «من سَلِمَ المسلمون من لسانه ويده»[37].

وحديثِ عمرو بن عبسة رضي الله عنه لما قال للنبي صلى الله عليه وسلم: أي الإيمان أفضل؟ قال: «خلقٌ حسن»[38].

فهذا هو حاصل ما قرره في تفسير حسن الخلق، وبيان فضائله، ودخوله في مسمى الإسلام والإيمان.

المطلب الثاني: تقريره لعلاقة حسن الخلق بالبِرّ والتقوى

المسألة الأولى: تقريره لعلاقة حسن الخلق بالبر:

وقد قرر ذلك في شرحه لحديث النواس بن سمعان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس»[39].

وأهم ما ورد في ذلك الشأن ما يلي:

1. تقريره أن البر يطلق باعتبارين مُعَيَّنين: الأول: باعتبار معاملة الخلق بالإحسان إليهم، ويطلق على الإحسان إلى الخلق عموماً.

واستدل على ذلك بأدلة منها ما جاء في المسند[40] عن النبي ﷺ أنه سئل عن بر الحج، فقال: «إطعام الطعام، وإفشاء السلام» وفي رواية: «وطيب الكلام».

وأورد كلام ابن عمر –رضي الله عنهما– وهو قوله: «البِرُّ شيءٌ هَين: وجهٌ طَلْقٌ، ولسانٌ لين»[41].

(22) أخرجه أحمد 153/5، و158، والترمذي (1987)، وقال: «حديث حسن».
(23) جامع العلوم والحكم 457/1.
(24) انظر: جامع العلوم والحكم 457/1.
(25) جامع العلوم والحكم 457/1.
(26) جامع العلوم والحكم 457/1.
(27) جامع العلوم والحكم 457/1.
(28) المسند 2/ 72، و250.
(29) أبو داود (4682).
(30) في تعظيم قدر الصلاة (454).
(31) جامع العلوم والحكم 455/1.
(32) رواه أحمد 4/278، وابن ماجه (3436) وصححه ابن حبان (478) و(486).
(33) جامع العلوم والحكم 456/1.
(34) رواه أحمد 6/94، وأبو داود (4798) وصححه ابن حبان (480).
(35) انظر: جامع العلوم والحكم 456/1.
(36) انظر: جامع العلوم والحكم 116/1.
(37) البخاري (11)، ومسلم (42).
(38) أخرجه الإمام أحمد 385/4.
(39) رواه مسلم (2553).
(40) 325/3، و234.
(41) رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق (148).

وقرر أن البر إذا اقترن بالتقوى كما في قوله –عز وجل–: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ﴾ [المائدة:2]، فقد يكون المرادُ بالبر معاملةَ الخلقِ بالإحسان، وبالتقوى معاملةَ الحقِّ بفعل طاعته واجتناب محرماته.

وقد يكون المراد بالبر: فعل الواجبات، وبالتقوى: اجتناب المحرمات[42].

الثاني من معنى البر: أن يراد به جميع الطاعات الظاهرة والباطنة كقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ ...الآية، (البقرة:177).

فالبر بهذا المعنى –كما يقرر ابن رجب– يدخل فيه جميع الطاعات الباطنة كالإيمانِ بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والطاعات الظاهرة كإنفاق الأموال فيما يحبه الله وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والوفاء بالعهد، والصبر[43].

2. تقريره أن تفسير البر بحسن الخلق قد يكون شاملاً للدين كله: قال رحمه الله: «وقد يكون جواب النبي ﷺ في حديث النواس شاملاً لهذه الخصال كلِّها؛ لأن حسن الخلق قد يراد به التخلق بأخلاق الشريعة، والتأدب بآداب الله التي أدب بها عباده في كتابه»[44].

ثم يورد على ذلك قوله –تعالى–: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ﴾ (القلم:4)، ويُعقبه بتفسير عائشة –رضي الله عنها–: «كان خلقه القرآن»[45].

ثم يوضح كلام عائشة بقوله: «يعني أنه يتأدب بآدابه؛ فيفعل أوامره، ويجتنب نواهيه، فصار العمل بالقرآن له خُلُقاً كالجِبِلَّة، والطبيعة لا يفارقه، وهذا أحسن الأخلاق، وأشرفها، وأجملها.

وقد قيل: إن الدِّينَ كلَّه خلق»[46].

وأورد في شرحه لحديث: «لا تغضب» قول عائشة: «كان خلقه القرآن» وفسره بنحو من هذا، فقال: «تعني أنه تأدب بآدابه، وتخلَّق بأخلاقه، فما مدحه القرآن كان رضاه، وما ذمه القرآن كان فيه سخطه»[47].

المسألة الثانية: تقريره لعلاقة حسن الخلق بالتقوى:

قال رحمه الله في شرح قول النبي صلى الله عليه وسلم: «وخالق الناس بخلق حسن»: «هذا من خصال التقوى، ولا تتم التقوى إلا به»[48].

ثم بين أن إفراده بالذكر بعد التقوى للحاجة إلى بيانه، وعلل لذلك بتصحيح مفهوم غالط؛ فقال: «فإن كثيراً من الناس يظن أن التقوى هي القيام بحق الله دون حقوق عباده؛ فنص له على الأمر بإحسان العشرة للناس؛ فإنه قد بعثه[49] إلى اليمن معلماً لهم، وفقيهاً وقاضياً.

ومن كان كذلك فإنه يحتاج إلى مخالقة الناس بخلق حسن ما لا يحتاج إليه غيره ممن لا حاجة للناس به، ولا يخالطهم»[50].

ثم نبَّه على أمر مهم في ذلك الشأن، ألا وهو إهمال حسن الخلق من قبل من يؤدون حق الله دون حقوق الناس، فقال: «وكثيراً ما يغلب على من يعتني بالقيام بحقوق الله، والانعكاف على محبته وخشيته وطاعته إهمال حقوق العباد بالكلية، أو التقصير فيها»[51].

ثم قرر أن الجمع بين القيام بحقوق الله وحقوق عباده عزيز جدًّا لا يقوى عليه إلا الكُمَّل من الأنبياء والصديقين[52].

ثم أورد أقوالاً في ذلك كقول الحارث المحاسبي: «ثلاثة أشياء عزيزة أو معدومة: حسن الوجه مع الصيانة، وحسن الخلق مع الديانة، والإخاء مع الأمانة»[53].

وقرر بعد ذلك أن الله –عز وجل– عدَّ في كتابه مُخالَقَةَ الناس بخلق حسن من خصال التقوى، بل بدأ في ذلك في قوله: ﴿أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [آل عمران: 133–134][54].

وهكذا يتبين من خلال هذا المبحث ما قرره ابن رجب من التلازم بين عموم الخلق والعقيدة، وذلك من خلال بيانه ارتباط حسن الخلق بالبر، والتقوى.

المبحث الثاني: تقرير ابن رجب للتلازم بين أفراد حسن الخلق وسلامة العقيدة.

حسن الخلق مصطلح عام ينضوي تحته جملة من أفراد الأخلاق وآحادها، بل إن كلَّ واحدٍ من تلك الأفراد ينقسم إلى أفراد باعتبارات.

والكلام في هذا المبحث سيدور حول تقريرات ابن رجب للتلازم بين بعض آحاد الأخلاق وبين العقيدة.

وهذا ما سيتبين في المطلبين التاليين وما يندرج تحتهما من المسائل.

المطلب الأول: تقريره للتلازم بين الحياء وسلامة العقيدة.

الحياء خلق عظيم وأسٌّ من الأسس الأخلاقية الكبرى.

وهو خلق يبعث على فعل الجميل، وترك القبيح، ويعني انقباضَ النفس من شيء، وتَرَكَهُ حذراً من اللوم فيه.

وهو كذلك –انكسار–، وتغيُّرٌ خِلْقِيٌّ يصيب الإنسان؛ جرَّاءَ فعلٍ أو تركٍ يُذَمُّ به.

وله تقسيمات باعتبارات، ومنها أن منه ما هو نفساني فطري خلقه الله في النفوس كلها، ومنه ما هو إيماني يمنع المؤمن من فعل القبائح؛ خوفاً من الله –تعالى–.

وهو وسط بين الوقاحة التي هي الجرأة على القبائح، والخجل الذي هو انحصار النفس عن الفعل مطلقاً[55].

وقد تطرق ابن رجب للحياء وفصَّل الكلام فيه من نواحٍ شتى، وذلك في أكثر من موضع، وبين من خلال ذلك مدى ارتباطه بالعقيدة.

(42) انظر: جامع العلوم الحكم 2/97–98.
(43) انظر: جامع العلوم والحكم 2/97–99.
(44) جامع العلوم والحكم 2/99.
(45) رواه مسلم (746).
(46) جامع العلوم والحكم 2/99.
(47) جامع العلوم والحكم 1/370.
(48) جامع العلوم والحكم 1/454.
(49) يعني معاذ بن جبل –رضي الله عنه– راوي الحديث.
(50) جامع العلوم والحكم 1/454.
(51) جامع العلوم والحكم 1/454.
(52) انظر: المرجع السابق 1/454، وقريب مما قرره ابن رجب في ذلك ما قرره ابن القيم في قوله: «جمع النبي صلى الله عليه وسلم بين تقوى الله، وحسن الخلق؛ لأن تقوى الله تصلح ما بين العبد وبين ربه، وحسن الخلق يصلح ما بينه وبين خلقه؛ فتقوى الله توجب له محبةَ الله، وحسن الخلق يدعو الناسَ إلى محبته». الفوائد، ص76.
(53) جامع العلوم والحكم 1/454.
(54) انظر: جامع العلوم والحكم 1/454.
(55) انظر: التعريفات، ص94، والكليات، ص404.

وأهم ما في ذلك ما جاء في شرحه لحديث: «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستحي فاصنع ما شئت»[56].

وفيما يلي تفصيل لذلك من خلال المسائل التالية:

المسألة الأولى: ربطه ما بين الحياء وبين الإسلام والإحسان، والإيمان والنبوات:

أولاً: ربطه بين الحياء وبين الإسلام والإحسان: وأهم ما في ذلك ما جاء في حديث أبي هريرة –رضي الله عنه– عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»[57].

حيث قرر أنه إذا حسن إسلام المرء تَرَكَ ما لا يعنيه من الأقوال والأفعال، وأوضح أن الإسلام يقتضي فعل الواجبات، وأن الإسلام الكامل يدخل فيه ترك المحرمات، وأن ذلك يقتضي ترك ما لا يعني كلَّه من المحرمات والمشتبهات والمكروهات وفضول المباحات التي لا يحتاج إليها.

وعلل لذلك بأن هذا كلَّه لا يعني المسلم إذا كمل إسلامه، وبلغ درجة الإحسان، وهو أن يعبد الله كأنه يراه، فإن لم يكن يراه فإن الله يراه[58].

ثم قال: «فمن عَبَدَ اللهَ على استحضار قربه، ومشاهدته بقلبه، أو على استحضار قرب الله منه، واطلاعه عليه – فقد حَسُنَ إسلامُه، ولزم أن يترك كل ما لا يعنيه في الإسلام، ويشتغل بما يعنيه فيه»[59].

ثم علل لذلك بقوله: «فإنه يتولد من هذين المقامين الاستحياء من الله، وترك كلِّ ما يُستحيا منه كما وصى صلى الله عليه وسلم رجلاً أن يستحيي من الله كما يستحيي من رجل من صالحي عشيرته لا يفارقه»[60].

وفي المسند[61] والترمذي[62] عن ابن مسعود مرفوعاً: (الاستحياء من الله أن تحفظ الرأس وما حوى، والبطن وما وعى، وتَذْكُر الموت والبلى؛ فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله)»[63].

ثم استشهد على ذلك ببعض الآثار الواردة كما في قول بعضهم: «واستحي من الله على قَدْرِ قُرْبِك منه، وخَفِ اللهَ على قدر قدرته عليك»[64].

ثم أورد بعض الآيات التي استنبط منها أنها تشير إلى هذا المعنى كما في قوله –تعالى–: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ﴾ ... الآية [ق:16]، وقوله: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِۚ﴾ ... الآية [يونس:61].

فهذا هو أهم ما قرر في ذلك المعنى، وقريب منه ما جاء في شرحه لحديث جبريل، وذلك عندما فسر الإحسان، وأنه يوجب الخشية، والخوف، والهيبة، والتعظيم[65].

ثانياً: ربطه ما بين الحياء والإيمان: وأهم ما في ذلك ما جاء في كلامه على مسمى الإيمان الوارد في حديث جبريل –عليه السلام– حيث أدخل الحياء في مسمى الإيمان.

قال –رحمه الله–: «ويدخل في مسمى الإيمان وجل القلوب من ذكر الله، وخشوعها عند سماع ذكره وكتابه....»[66].

وذكر جملة من أعمال القلوب والجوارح، ثم قال: «وكثرة الحياء»[67].

وقرر ذلك في شرحه لحديث: «إن مما أدرك الناس...» وذلك في قوله: «وقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم الحياء من الإيمان»[68].

واستدل على ذلك بما جاء في الصحيحين من أن النبي صلى الله عليه وسلم مر على رجل وهو يعاتب أخاه في الحياء يقول: إنك لتستحيي كأنه يقول: قد أضرَّ بك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «دعه؛ فإن الحياء من الإيمان»[69].

واستدل –كذلك– بما جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: «الحياء شعبة من الإيمان»[70].

وقرر في موضع آخر أن الحياء من الله يتولد من مطالعة نعمه، والتقصير في شكرها؛ ثم قال مؤكداً ارتباط الحياء بالإيمان: «فإذا سُلِبَ العبدُ الحياءَ المكتسبَ والغريزيَّ لم يبق له ما يمنعه من ارتكاب القبيح، والأخلاق الدنيئة؛ فصار كأنه لا إيمان له»[71].

ثالثاً: ربطه بين الحياء والنبوات: وهذا ما قرره في شرح قول النبي ﷺ: «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى».

قال: «يشير إلى أن هذا المعنى مأثور عن الأنبياء المتقدمين، وأن الناس تداولوه بينهم، وتوارثوه عنهم قرناً بعد قرن»[72].

ثم قرر أن هذا دليل على أن النبوات المتقدمة جاءت بهذا الكلام، وأنه مما أشتهر بين الناس حتى وصل إلى أول هذه الأمة[73].

وقرر في شرح حديث: «لا تغضب...» أن الحياء خلق النبي ﷺ وأنه لشدة حيائه لا يواجه أحداً بما يكره، بل تعرف الكراهية في وجهه[74].

واستدل على ذلك بما جاء في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: «كان النبي ﷺ أشد حياء من العذراء في خدرها؛ فإذا رأى شيئاً يكرهه عرفناه في وجهه»[75].

المسألة الثانية: تقريره لمسائل متعلقة بالحياء وربطها بالعقيدة:

ويدخل تحت ذلك جملة من الأمور، وذلك كما يلي:

أولاً: بيانُه لأنواع من الحياء وربطُها بالعقيدة: فابن رجب خلال شرحه لحديث «إنما أدرك الناس...» يقسم الحياء إلى أنواع باعتبارات، ويربط ذلك بالإيمان، والإحسان، والتوحيد، وموافقة الشرع.

(56) أخرجه البخاري (3483، و3484، و6120).
(57) أخرجه الترمذي (2317)، وابن ماجه (3976)، وقال النووي: «حديث حسن». انظر: جامع العلوم والحكم 287/1.
(58) انظر: جامع العلوم والحكم 288/1–289.
(59) جامع العلوم والحكم 289/1.
(60) رواه الإمام أحمد في الزهد (76)، وصححه الألباني في الصحيحة (741).
(61) المسند 387/3.
(62) الترمذي (2458).
(63) جامع العلوم والحكم 289/1.
(64) جامع العلوم والحكم 190/1.
(65) انظر: جامع العلوم والحكم 126/1، وانظر: 498/1.
(66) جامع العلوم والحكم 116/1.
(67) جامع العلوم والحكم 116/1.
(68) جامع العلوم والحكم 499/1.
(69) البخاري (24 و6118)، ومسلم (36).
(70) البخاري (9)، ومسلم (35).
(71) جامع العلوم والحكم 502/1.
(72) جامع العلوم والحكم 497/1.
(73) انظر: جامع العلوم والحكم 497/1.
(74) جامع العلوم والحكم 497/1.
(75) البخاري (6102)، ومسلم (3320).

ولهذا يقرر -باعتبار- أن الحياء نوعان: غريزيٌّ، ومكتسب، وفي ذلك يقول: «واعلم أن الحياء نوعان: أحدهما ما كان خُلُقاً، وجِبِلَّة غير مكتسب، وهو من أجَلِّ الأخلاق التي يمنحها اللهُ العبدَ، ويُجبله عليها»[76].

ويستشهد على ذلك بحديث: «الحياء لا يأتي إلا بخير»[77].

ثم يعلل لذلك بقوله: «فإنه يكف عن ارتكاب القبائح، ودناءة الأخلاق، ويحث على استعمال مكارم الأخلاق، ومعاليها؛ فهو من خصال الإيمان بهذا الاعتبار»[78].

ويمثل لذلك بمقولة للجراح بن عبدالله الحكمي: «تركت الذنوب؛ حياءً أربعين سنة، ثم أدركني الورع»[79].

وبمقولة بعضهم: «رأيت المعاصي نذالةً؛ فتركتها مروءة؛ فاستحالت ديانة»[80].

ثم ينتقل إلى النوع الثاني من الحياء، وهو المكتسب؛ فيربطه بالتوحيد العلمي، وأثره فيقول: «الثاني ما كان مكتسباً من معرفة الله، وعظمته، وقربه من عباده، واطلاعه عليهم، وعلمه بخائنة الأعين، وما تخفي الصدور»[81].

ثم يقرر أن هذا الحياء: «من أعلى خصال الإيمان، بل من أعلى درجات الإحسان»[82].

ويقسم الحياء باعتبار آخر إلى محمود شرعاً، وغير محمود؛ فيقرر أن الحياء المحمود شرعاً في كلام النبي صلى الله عليه وسلم إنما يراد به الخُلُقُ الذي يحث على فعل الجميل وترك القبيح.

ويقرر -كذلك- أن الضعف والعجز الذي يوجب التقصير في حقوق الله، أو حقوق العباد- ليس من الحياء المحمود، وإنما هو -كما يقول-: «ضعف، وخور، وعجز، ومهانة»[83].

ثانياً: ربطه الحياء بالدين والمروءة: وذلك كما جاء في شرحه لحديث: «إذا لم تستحي فاصنع ما شئت».

وبيان ذلك أنه قرر أن معنى الأمر في قول النبي صلى الله عليه وسلم: «فاصنع ما شئت» فيه قولان.

ثم ذكر المعنى الأول، فقال: «أحدهما: أنه ليس بمعنى الأمر أن يصنع ما شاء، ولكنه على معنى الذم والنهي عنه»[84].

ثم أوضح أن لأهل هذه المقالة طريقين: أولهما: أن الأمر خرج عن مقتضاه إلى معنى التهديد والوعيد؛ فيكون المعنى إذا لم يكن لك حياء يردعك فاعمل ما شئت؛ فإن الله يجازيك عليه.

ويستدل على ذلك بمثل قوله -تعالى-: ﴿ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [فصلت:40]، وقوله: ﴿فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦ﴾ [الزمر:15]، وذكر أنه هذا اختيار جماعة منهم أبو العباس ثعلب.

(76) جامع العلوم والحكم 501/1.
(77) أخرجه البخاري (6117)، ومسلم (37).
(78) جامع العلوم والحكم 501/1.
(79) سير أعلام النبلاء 190/5.
(80) جامع العلوم والحكم 501/1.
(81) جامع العلوم والحكم 501/1.
(82) جامع العلوم والحكم 501/1.
(83) انظر: جامع العلوم والحكم 502/1.
(84) جامع العلوم والحكم 497/1.

ثم ينتقل إلى الطريق الثاني وهو قول من قال: إنه أمر بمعنى الخبر، والمعنى أن من لم يَسْتَحِيْ صنع ما شاء.

ثم يذكر تعليل من قال بذلك بأن المانع من فعل القبائح هو الحياء؛ فمن لم يكن له حياء انهمك في كل فحشاء ومنكر.

وذكر أن هذا اختيار جماعة منهم أبو عبيد القاسم بن سلام، وابن قتيبة، ومحمد بن نصر المروزي وغيرهم[85].

ثم انتقل إلى المعنى الثاني من معاني قوله: «فاصنع ما شئت» وذكر أن الأمر على ظاهر لفظه، أي أنه أمر بفعل ما يشاء، وأن المعنى -كما يقول-: «إذا كان الذي تريد فعله مما لا يستحيا من فعله لا من الله ولا من الناس؛ لكونه من أفعال الطاعات، أو من جميل الأخلاق والآداب المستحسنة - فاصنع منه حينئذٍ ما شئت»[86].

ثم ذكر أن هذا قول جماعة من السلف كأبي إسحاق المروزي الشافعي، وحكي عن الإمام أحمد مثله.

ثم ذكر أن من هذا القبيل قول بعض السلف، وقد سئل عن المروءة، فقال: ألا تعمل في السر شيئاً تستحيي منه في العلانية.

وذكر آثاراً أخرى في ذلك[87].

وكأن ابن رجب ارتضى كلا المعنيين السابقين، بدليل أنه لم يتعقب أيَّ واحدٍ منهما؛ بدليل أنه لما ذكر معنىً آخر تعقَّبه.

وفي ذلك يقول: «وحكى أبو عبيد[88] في معنى الحديث قولًا آخر حكاه عن جرير قال: (معناه أن يعمل الخير؛ فيدعه؛ حياءً من الناس أن يخاف الرياء، يقول: فلا يمنعك الحياء من المضي لما أردت).

ثم قال أبو عبيد: (وهذا الحديث ليس يجيء في سياقه ولا لفظه على هذا التفسير، ولا على هذا يحمله الناس)[89].

ثم عقب ابن رجب على ذلك بقوله: «قلت: لو كان على ما قاله جرير لكان لفظ الحديث: (إذا استحييت مما لا يستحيا منه فافعل ما شئت).

ولا يخفى بُعد هذا من لفظ الحديث، والله أعلم»[90].

وفي ذلك التقرير الأخير ربط بين الحياء، والإخلاص، وخوف الرياء.

فهذا أهم ما قرره ابن رجب في تقريره للتلازم بين الحياء وسلامة العقيدة.

المطلب الثاني: تقريره للتلازم بين الكرم وسلامة العقيدة.

مدخل: في مفهوم الكرم.

الكرم أحد الأصول التي تبنى عليها مكارم الأخلاق، وهو محل إجماع بين سائر الناس.

والكرم هو الإعطاءُ بالسهولةِ، والكريمُ هو من يوصل النفع بلا عوض[91].

(85) انظر: جامع العلوم والحكم 497/1-498.
(86) جامع العلوم والحكم 503/1.
(87) انظر: جامع العلوم والحكم 503/1-504.
(88) يعني به القاسم بن سلام في كتابه غريب الحديث 31/3.
(89) غريب الحديث 31/3.
(90) جامع العلوم والحكم 505/5.
(91) انظر: التعريفات، ص184.

وللكرم كلمات ترادفه، وتدل عليه، كالجود، والسماحة، والسخاء، والبذل، والندى، والعطاء، والإنالة، والإيثار، ونحو ذلك.

وهذه الألفاظ يجمعها معنىً عامٌّ مشترك، ولا يمنع ذلك من أين يكون بينها فروْق تميز بعضها عن بعض كما في صنيع أبي هلال العسكري في كتابه (الفروق اللغوية) حيث يذكر ما بين تلك الكلمات من الفروق الدقيقة.

والحاصل أن هذه الألفاظ متقاربة، وتدل على معنى جامع لكل ما ذكر[92].

وابن رجب تطرق للكرم، وربطه بصحة العقيدة في مواضع من جامع العلوم والحكم، مُراوحاً بين ألفاظه في ذلك؛ فتارة يعبر عنه بالكرم، وتارة بالبذل وتارة بالعطاء، وتارة بالصدقة، وتارة بالمواساة، وتارة بالسماحة، وتارة بالإيثار، وتارة بالتكرم عما في أيدي الناس ونحو ذلك.

وفيما يلي بيان لتقريراته بشأن التلازم بين الكرم وسلامة العقيدة، وذلك من خلال المسائل التالية:

المسألة الأولى: تقريره للتلازم بين إكرام الجار والضيف وبين العقيدة:

وذلك من خلال شرحه لحديث: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه»[93].

ففي هذا الحديث رَبَطَ بينَ إكرامِ الجارِ والضيفِ بركنين من أركان الإيمان، ألا وهما الإيمان بالله واليوم الآخر.

وابن رجب قرر التلازم في ذلك الشأن، وهذا ما سيتبين من خلال ما يلي:

أولاً: تقريره أن هذين العملين داخلان في مسمى الإيمان: فقد قرر من خلال شرحه لجملة: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر» فليفعل كذا وكذا أن ذلك دالٌّ على أن تلك الأعمال من خصال الإيمان، وفي ذلك يقول: «أعمال الإيمان تارةً تتعلق بحقوق الله كأداء الواجبات، وترك المحرمات، ومن ذلك قول الخير، والصمت عن غيره.

وتارة تتعلق بحقوق عباده كإكرام الضيف، وإكرام الجار، والكف عن أذاه»[94].

ثم أفاض في تفصيل الكلام على ما يتعلق باللسان من الأحكام والآداب، وأورد على ذلك العديد من النصوص من الكتاب والسنة، وآثار السلف، وأقوال العلماء[95].

ثانياً: تفصيله الكلام على ما يتعلق بحق الجار: حيث قرر أن حقوق الجار تدور حول إكرامه، وكف الأذى عنه، واحتمال أذاه.

وقرر -كذلك- أن الأذى بغير حقٍّ محرم لكل أحد، ولكنه في حق الجار أشد تحريماً، وساق الأدلة على ذلك كما في حديث أن النبي صلى الله عليه وسلم سُئِل: أي الذنب أعظم؟ قال: «أن تجعل لله نداًّ وهو خلقك» قيل: ثم أي؟ قال: «أن تقتل ولدك؛ مخافة أن يطعم معك» قيل ثم أي؟ قال: «أن تزاني حليلة جارك»[96].

وكما في حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-: «لا يدخل الجنة من لا يأمن جارُه بوائقه»[97].

ثم انتقل إلى الكلام على إكرام الجار، وَرَبَطَه بحق الله -تعالى- فقال: «وأما إكرام الجار فمأمورٌ به، وقد قال الله -عزَّ وجل-: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا﴾ [النساء:36].

فجمع الله -تعالى- في هذه الآية بين حقه على العبد وحقوق العباد على العباد -أيضاً-»[98].

ثم قرر أن العباد الذين أمر الله بالإحسان إليهم خمسة أنواع، وذكر منهم: الثالث: وهو من له حق القرب والمخالطة، وهم الجار ذو القربى والجار الجُنُب والصاحب بالجَنْب.

وذكر الخلاف والأقوال في المقصود من ذلك[99].

ثالثاً: تقريره لأنواع الإحسان إلى الجار: حيث ذكر من جملة ذلك مواساتَهُ عند حاجته، وساق الأحاديث التي تحذر من ترك مواساته، وتنفي الإيمان عمن يشبع دون جاره، وعن من يغلق بابه دون جاره.

وذكر -أيضاً- أن من الإحسان إلى الجار تلبيةَ طلبه إذا استعان بجاره، أو استقرضه، وعيادته إذا مرض، وتهنئته إذا أصابه خير، وتعزيته حال المصيبة، واتباع جنازته إذا مات، وألا يُستطال عليه بالبناء.

وساق جملة من الآثار التي تحذر من أذية الجار، وقرر -أيضاً- أن أدنى حقوق الجار كفُّ الأذى عنه، وأن من أعظم حقوقه الصبرَ على أذاه، وألا يقابله بالأذى.

وساق جملة من النصوص والآثار في ذلك الشأن[100].

وهو في ذلك يربط تلك الحقوق بعددٍ من مسائل العقيدة.

كالإيمان بالله، واليوم الآخر، وكمسألة زيادة الإيمان ورفعة الدرجات؛ إذ الإحسان إليه أعظم من الإحسان إلى غيره، عدا الوالدين والأرحام، وكمسألة الكبائر والصغائر؛ إذ الكبيرة تعظم بأسباب، ومنها صدورها في حق الجار.

رابعاً: تفصيله الكلام على ما يتعلق بحق الضيف: حيث قرر أن المراد بذلك إحسانُ ضيافته، وذلك شامل لإسعاده، وإعزازه، وإطعامه.

واستدل على ذلك بعدة أحاديثَ غالِبُها يربط إكرام الضيف بالإيمان بالله واليوم الآخر.

ومنها حديث: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته» قالوا: وما جائزته؟ قال: «يوم وليلة» قال: «والضيافة ثلاثة أيام، وما كان بعد ذلك فهو صدقة»[101].

ثم علق على ذلك بقوله: «ففي هذه الأحاديث أن جائزة الضيف يوم وليلة، وأن الضيافة ثلاثة أيام؛ ففرق بين الجائزة والضيافة، وأكَّد الجائزة»[102].

ثم أورد أحاديثَ أخرى، وأقوالاً للسلف في ذلك.

ثم فصَّل الكلام في أحكام الضيافة عموماً، وساق أقوالاً للعلماء في ذلك كالليث، ومالك، والشافعي، وأحمد، وغيرهم[103].

(92) انظر: الفروق في اللغة لأبي هلال العسكري، ص295-298، وأصول النظام الاجتماعي في الإسلام لابن عاشور، ص231.
(93) رواه البخاري (6018، و6136، و6475)، ومسلم (47).
(94) جامع العلوم والحكم 333/1.
(95) انظر: جامع العلوم والحكم 333/1-334.
(96) رواه البخاري (4477)، ومسلم (86).
(97) رواه مسلم (46).
(98) جامع العلوم والحكم 345/1-346.
(99) انظر: جامع العلوم والحكم 346/1-349.
(100) انظر: جامع العلوم والحكم 349/1-353.
(101) رواه البخاري (6019)، ومسلم (48).
(102) جامع العلوم والحكم 355/1.
(103) انظر: جامع العلوم والحكم 355/1.

ثم انتقل إلى مسألة ما يُقَدَّمُ للضيف من القرى، وأورد قَولَ مَنْ يرى أن يتكلَّف الإنسان للضيف في اليوم والليلة من الطعام أطيب ما يأكله هو وعياله، وفي تمام الثلاث يطعمه من طعامه.

ثم عقب على ذلك بقوله: «وفي هذا نظر»[104].

ثم ساق أقوال بعض العلماء في ذلك، وقرر ما يراه في هذه المسألة، وذلك بعد أن أورد قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لا يحل له أن يثوي عنده يؤثمه»[105].

قال ابن رجب –رحمه الله–: «يعني يقيم عنده حتى يضيق عليه، لكنْ هل هذا في الأيام الثلاثة أم فيما زاد عليها؟»[106].

ثم فصَّل القول في الخلاف، وقرر أن ما ليس بواجب فلا شك في تحريمه، وأما ما هو واجب –وهو اليوم والليلة– فينبني على أنه هل تجب الضيافة على من لا يجد شيئاً أو لا تجب إلا على من وجد ما يضيف به؟

وقال بعد ذلك مقرراً ما يراه في هذه المسألة: «فإن قيل إنها لا تجب إلا على من يجد ما يضيف به –وهو قول طائفة من أهل الحديث منهم حُميد بن زنجويه– لم يَحِلَّ للضيف أن يستضيف من هو عاجز عن ضيافته»[107].

واستدل على ذلك بما روي من حديث سلمان قال: «نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نتكلف للضيف ما ليس عندنا»[108].

ثم عقب ابن رجب على ذلك بقوله: «فإذا نهي المضيف أن يتكلف للضيف ما ليس عنده دلَّ على أنه لا تجب عليه المواساة للضيف إلا مما عنده؛ فإذا لم يكن عنده فضلٌ لم يلزمه شيء.

وأما إذا آثر على نفسه كما فعل الأنصاري الذي نزل فيه ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر:9]، فذلك مقام فضل وإحسان، وليس بواجب»[109].

وهكذا يتبين من خلال هذه المسألة مدى ربطه بين إكرام الجار والضيف وسلامة العقيدة؛ إذ ربط ذلك بالإيمان بالله، واليوم الآخر، وغيرها من أمور العقيدة التي مضى ذكرٌ لشيء منها.

المسألة الثانية: تقريره التلازم بين أنواع من الكرم وبين سلامة العقيدة:

تناول ابن رجب من خلال شرحه للأحاديث أنواعاً من الكرم، وربطها بالعقيدة، وفيما يلي بيان لأهم ما تناوله في ذلك:

أولاً: ما جاء في شرحه لحديث جبريل: «وذلك معرض كلامٍ له حول مسمى الإيمان؛ حيث ذكر جملة من الأعمال التي تدخل ضمن ذلك المسمى، ومنها: العطاء لله، وسماحة النفوس بالطاعة المالية والبدنية، وإيثار المؤمنين لرسول الله صلى الله عليه وسلم بأنفسهم وأموالهم، ومواساة المؤمنين عموماً والجيران على وجه الخصوص[110].

ثانياً: ما جاء في شرحه للأحاديث التي تذكر أمثلة للصدقات، وأنواعاً من الإحسان، وذلك كما في حديث ذهب أهل الدثور بالأجور: وهو أن ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا للنبي ﷺ: ذهب أهل الدثور بالأجور يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضول أموالهم، قال ﷺ: «أليس قد جعل الله لكم ما تصدقون؟» الحديث[111].

ففي هذا الحديث بيَّن ابن رجب أن الصحابة –رضي الله عنهم– لحرصهم على الأعمال الصالحة، وقوة رغبتهم في الخير كانوا يحزنون على ما يتعذر عليهم فِعْلُه مما يقدر عليه غيرهم؛ فكان الفقراء منهم يحزنون على فوات الصدقة بالأموال التي يَقْدِرُ عليها الأغنياء، وأن الفقراء غبطوا أهل الدثور –وهي الأموال– بما يحصل لهم من أجر الصدقة بأموالهم؛ فدلهم النبي على صدقات يقدرون عليها.

ثم يقرر ابن رجب أن الفقراء ظنوا أن لا صدقة إلا بالمال؛ فأخبرهم النبي ﷺ أن جميع أنواع فعل المعروف والإحسان صدقة، وذكر بعض الأدلة على ذلك[112].

ثم قرر أن الصدقة بغير المال نوعان؛ فذكر النوع الأول وأورد تحته جملة من الأعمال، فقال: «النوع الأول: ما فيه تعدية الإحسان إلى الخلق؛ فيكون صدقةً عليهم، وربما كان أفضل من الصدقة بالمال، وهذا كالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر؛ فإنه دعاء إلى طاعة الله، وكفٌّ عن معاصيه، وذلك خير من النفع بالمال.

وكذلك تعلم العلم النافع، وإقراء القرآن، وإزالة الأذى عن الطريق، والسعي في جلب النفع للناس، ودفع الأذى عنهم، وكذلك الدعاء للمسلمين والاستغفار لهم»[113].

ثم أورد جملة من الأحاديث الدالة على ذلك، وانتقل إلى النوع الثاني من الصدقة التي ليست مالية وهو –كما يقول– ما نفعه قاصر على فاعله، كأنواع الذكر، والمشي إلى المساجد، والصلاة، والصيام، والحج.

ويعني بذلك التطوع من هذه الأعمال، أما الفرائض فكلهم مشتركون في ذلك.

ثم قرر أن النصوص تكاثرت بتفضيل الذكر على الصدقة بالمال وغيرها من الأعمال، ثم فصَّل القول في ذكر الأدلة والأقوال في ذلك، والمقام لا يتسع للإطالة، وإنما المقصود ههنا عدَّه جملةً من الأعمال التي تدخل في قبيل الصدقات المتعدية أو القاصرة[114].

وقرر هذا المعنى وزيادة في شرحه لحديث السُّلامى: وهو ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كلُّ سُلامى من الناس عليه صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين الاثنين صدقة، وتعين الرجل في دابته؛ فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وبكل خطوة تمشيها إلى المسجد صدقة، وتميط الأذى عن الطريق صدقة»[115].

وذكر من جملة الصدقات –غير ما ذكر– إعانة ذي الحاجة الملهوف، وإسماع الأصم، وهداية الأعمى أو غيره الطريق، وإقراض الدراهم، وإعارة الدابة لمن يركبها، ومنح لبن الشاة، أو البقرة، وطلاقة الوجه، وإيناس الوحشان، والسلام، والصناعة للأخرق، والصلاة على الميت، وعيادة المريض، والمشي بحقوق الآدميين، وإنظار المعسر، والإحسان إلى البهائم، وإبرار المقسم، وغير ذلك[116].

وقريب مما قرره في شرحه للحديثين السابقين ما قرره في شرح حديث: «من نفَّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة» الحديث[117].

(104) جامع العلوم والحكم 358/1.
(105) رواه مسلم (48).
(106) جامع العلوم الحكم 359/1.
(107) جامع العلوم والحكم 359/1.
(108) رواه أحمد 441/5، والطبراني في الكبير (6083) و(6084) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد 179/8: «رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط فأحد أسانيد الكبير رجاله رجال الصحيح».
(109) جامع العلوم والحكم 359/1.
(110) انظر: جامع العلوم والحكم 116/1.
(111) مسلم (720 و1006).
(112) انظر: جامع العلوم والحكم 56/2-57.
(113) جامع العلوم والحكم 59/2.
(114) جامع العلوم والحكم 66/2-70.
(115) رواه البخاري (2707، و2891)، ومسلم (1009).
(116) انظر تفصيل ذلك في: جامع العلوم والحكم 71/2-92.
(117) رواه مسلم (2699).

حيث ذكر فيه جملة من الأعمال التي تدخل في قبيل الإحسان، والكرم، وربط بما يترتب عليها من عظيم الجزاء في الدنيا والآخرة، وذلك بحسب نوع التنفيس والتفريج، وفي ذلك يقول: «والكربة: هي الشدة العظيمة التي توقع صاحبها في الكرب، وتنفيسها أن يخفف عنه منها مأخوذ من تنفيس الخناق كأنه يرخي له الخناق حتى يأخذ نَفَساً.

والتفريج أعظم من ذلك، وهو أن يزيل الكربة؛ فتنفرج عنه كربته، ويزول همُّه وغمُّه؛ فجزاء التنفيسِ التنفيسُ، وجزاء التفريجِ التفريجُ كما في حديث ابن عمر، وقد جمع بينهما[118] في حديث كعب بن عجرة»[119].

ثالثاً: ما جاء في شرحه لحديث: «ازهد في الدنيا يُحِبَّك الله، وازهد فيما في أيدي الناس يُحِبَّك الناس»[120].

والشاهد في هذا الحديث ما جاء في الجملة الثانية: «وازهد فيما في أيدي الناس يحبَّك الناس».

وفي ذلك إشارة إلى نوع من أنواع التكرم والسخاء، ألا وهو الاستغناء عن الناس، والتعفف عما في أيديهم.

قال ابن المقفع: «عوِّد نفْسَكَ السخاء، واعلم أنه سخاءان: سخاوة نفس الرجل بما في يديه، وسخاوته عما في أيدي الناس.

وسخاوة نفس الرجل بما في يديه أكثرهما وأقربهما إلى أن تدخل فيه المفاخرة، وتركه ما في أيدي الناس أمحضُ في التكرُّم، وأبرأُ من الدنس؛ فإن هو جمعهما؛ فبذل، وعفَّ فقد استكمل الجود والكرم»[121].

وقد قرر ابن رجب هذا المعنى في شرحه لهذا الحديث، وساق آثاراً حوله، وذلك بعد أن شرح الوصية الأولى وهي الزهد في الدنيا، ثم قال: «الوصية الثانية: الزهد فيما في أيدي الناس، وأنه موجب لمحبة الناس»[122].

ثم أورد آثاراً في ذلك الشأن عن سهل بن سعد، وعمر وعبدالله بن سلام -رضي الله عنهم-.

وذكر نحواً من ذلك عن الحسن، وأيوب السختياني -رحمهما الله-[123].

ثم قرر أن الأحاديث عن النبي ﷺ قد تكاثرت بالأمر بالاستعفاف عن مسألة الناس والاستغناء بالله عنهم، وعلل ذلك بأن من سأل الناس ما بأيديهم كرهوه وأبغضوه؛ لأن المال محبوب لنفوس بني آدم؛ فمن طلب منهم ما يحبونه كرهوه لذلك.

ثم ذكر صنفاً من الناس، وهم مَنْ يرون المِنَّةَ للسائل عليهم فهؤلاء -كما يقرر- في حكم النادر[124].

ثم يختم كلامه بقوله: «وأما من زهد فيما في أيدي الناس وعف عنهم فإنهم يحبونه، ويكرمونه لذلك، ويسود عليهم، كما قال أعرابي لأهل البصرة: من سيد هذه القرية؟ قالوا: الحسن، قال: بم سادهم؟ قالوا: احتاج الناس إلى علمه، واستغنى هو عن دنياهم»[125].

(118) يعني جمع بين التنفيس والتفريج.
(119) جامع العلوم والحكم 286/2، وانظر: تفصيل شرح الحديث في 286/2-310.
(120) رواه ابن ماجه (4102)، وقال النووي في الأربعين (31): «حديث حسن رواه ابن ماجه وغيره بأسانيد حسنة».
(121) الأدب الصغير والأدب الكبير لابن المقفع، ص144.
(122) جامع العلوم والحكم 204/2.
(123) انظر: جامع العلوم والحكم 204/2-205.
(124) انظر: جامع العلوم والحكم 205/2.
(125) جامع العلوم والحكم 205/2-206.

فهذا -إذاً- هو حاصل ما قرره في شأن التلازم بين الكرم وسلامة العقيدة.

المطلب الثالث: تقريره للتلازم بين الصبر وسلامة العقيدة.

الصبرُ أصلٌ من أصول الأخلاقِ، وعبادة من أجلِّ العباداتِ، والفضائلُ عموماً تنبعث من مكارم الخلال، والمكارم راجعة إلى قوة الإرادة، وقوة الإرادة ملاكها الصبر؛ فما التحلم، والتعلم، والشجاعة، والعدل، والعفة إلا من ضروب الصبر.

والصبر: حبس النفس عن شيء تحبه، أو حبسها على شيء تكرهه.

ويدخل تحت الصبر ضروب كثيرة مما يتعلق به[126].

وقد تطرق ابن رجب للصبر، وبيَّن مدى تلازمه مع العقيدة في مواضع متفرقة من جامع العلوم والحكم.

وأهم وأشمل ما في ذلك ما كان في موضعين اثنين، وهذا ما سيتبين من خلال المسألتين التاليتين:

المسألة الأولى: ما جاء في شرحه لحديث ابن عباس: «إني أعلمك كلمات»:

والشاهد من ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: «واعلم أن في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً، وأن النصر مع الصبر»[127].

وقد قرر ابن رجب من خلال هاتين الجملتين أموراً عدة في الصبر، ومدى ارتباطه بالعقيدة، وفيما يلي بيان ذلك:

أولاً: رَبْطُهُ الصبرَ بالقضاء والقدر: فلقد قرر في مستهل شرحه للجملة الأولى أن المقصود بذلك أن العبد إذا صبر على ما يصيبه من المصائب المؤلمة المكتوبة عليه كان له في الصبر خير كثير.

ثم يبيّن مدى ارتباط ذلك بالقضاء والقدر، فيقول: «ومعنى هذا أن حصول اليقين للقلب بالقضاء السابق، والتقدير الماضي يعين على أن ترضى نفسه بما أصابه؛ فمن استطاع أن يعمل في اليقين بالقضاء والقدر على الرضا بالمكتوب فليفعل؛ فإن لم يستطع الرضا فإن في الصبر على المكروه خيراً كثيراً»[128].

ويقرر من خلال ذلك أن للمؤمن بالقضاء والقدر في المصائب درجتين: إحداهما: الرضا، وهي أن يرضى بذلك، وهي درجة عالية رفيعة جداً -كما يقول-.

ويستدل لذلك بقوله -تعالى-: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ [التغابن:11].

ويورد على ذلك قول علقمة في تفسير الآية: «هي المصيبة تصيب الرجل؛ فيعلم أنها من عند الله فيسلِّم ويرضى»[129].

ويؤيد ذلك بقول النبي ﷺ قال: «إن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم؛ فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط»[130].

وقوله ﷺ: «أسألك الرضا بعد القضاء»[131].

ثم يقرر أن مما يدعو المؤمن إلى الرضا بالقضاء تحقيق إيمانه بمعنى قول النبي ﷺ: «لا يقضي الله للمؤمن قضاءً إلا كان خيراً له؛ إن أصابته سراء شكر كان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر كان خيراً له، وليس ذلك إلا للمؤمن»[132].

(126) انظر: تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور 352/1، و460.
(127) رواه أحمد 293/1، والترمذي (2516) وقال: «حديث حسن صحيح».
(128) جامع العلوم الحكم 485/1.
(129) زاد المسير لابن الجوزي 283/8.
(130) الترمذي (2396) وحسَّنه.
(131) أخرجه الحاكم 524/1-525، وصححه ابن حبان (1971).
(132) رواه مسلم (2999).

ويورد بعد ذلك آثاراً تحث على الرضا بالقضاء، وتبين ثمراته العاجلة والآجلة، وأن من وصل إلى هذه الدرجة كان عيشه نعيماً وسروراً.

ويقرر بعد ذلك أن أهل الرضا تارة يلاحظون حكمةَ المُبْتَلي، وخيرتَه لعبده في البلاء، وأنه غير مُتَّهمٍ في قضائه، وتارة يلاحظون ثواب الرضا بالقضاء؛ فينسيهم أَلَمَ المقضيّ، وتارة يلاحظون عظمة المُبْتَلي وجلاله؛ فيستغرقون في مشاهدة ذلك؛ حتى لا يشعروا بالألم، بل ربما تلذذوا بذلك[133].

ثم ينتقل إلى الدرجة الثانية وهي الصبر على البلاء، وهذه -كما يقول-: «ولمن لم يستطع الرضا بالقضاء فالرضا فَضْلٌ مندوبٌ إليه مستحبٌّ، والصبر واجب على المؤمن حتم.

وفي الصبر خير كثير؛ فإن الله أمر به، ووعد عليه جزيل الأجر، قال الله -عز وجل-: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر:10]»[134].

ثانياً: تفريقه بين الرضا والصبر: فيقرر أن الصبر كفُّ النفس، وحبسها عن التسخط مع وجود الألم وتمني زواله، وكف الجوارح عن العمل بمقتضى الجزع، على حين أن الرضا: انشراح الصدر، وسعته بالقضاء، وترك تمني زواله عن ذلك المؤلم، وإن وجد الإحساس بالألم لكن الرضا يخففه؛ لما يباشر القلب من رَوح اليقين والمعرفة.

وإذا قوي اليقين -كما يقول- فقد يزيل الإحساس بالكلية[135].

ثالثاً: تقريره لمعنى «أن النصر مع الصبر»: حيث قرر أن هذا موافق لقول الله -عز وجل-: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: 249]، وقوله -تعالى-: ﴿فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال:66].

ويورد على ذلك بعض الآثار كما في قول عمر -رضي الله عنه- لأشياخ عبس: «بم قاتلتم الناس؟» قالوا: «بالصبر؛ لم نلقَ قوماً إلا صبرنا لهم كما صبروا لنا».

وقول بعض السلف: «كلنا يكره الموت، ولكن نتفاضل بالصبر».

وقول محمد بن عبدالله البطال: «الشجاعة صبر ساعة»[136].

ويوضح بعد ذلك أن هذا الصبر في جهاد العدو الظاهر، وهو جهاد الكفار.

ويقرر -كذلك- أن هذا شامل لجهاد العدو الباطن وهو جهاد النفس والهوى؛ فإن جهادهما من أعظم الجهاد كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «المجاهد من جاهد نفسه في الله»[137].

وذكر آثاراً في هذا المعنى عن ابن عمر، وبقية بن الوليد، وإبراهيم بن عبلة وغيرهم، ثم ختم ذلك بقوله: «فهذا الجهاد يحتاج إلى صبر؛ فمن صبر على مجاهدة نفسه وهواه، وشيطانه - غلب وحصل له النصر والظفر، وملك نفسه؛ فصار عزيزاً ملكاً.

ومن جَزِعَ، ولم يصبر على مجاهدة ذلك غُلب، وقُهِرَ، وأُسِرَ، وصار عبداً ذليلاً أسيراً في يدي شيطانه وهواه...

(133) انظر: جامع العلوم الحكم 1/486-487.
(134) جامع العلوم والحكم 1/488.
(135) انظر: جامع العلوم والحكم 1/488.
(136) انظر: جامع العلوم والحكم 1/488-489.
(137) أخرجه الترمذي (1621)، وصححه ابن حبان (4707).

فقوله صلى الله عليه وسلم-: (إن النصر مع الصبر) يشمل النصر في الجهادين؛ جهاد العدو الظاهر، وجهاد العدو الباطن»[138].

المسألة الثانية: ما جاء في شرحه لحديث: «الطهور شطر الإيمان...»:

وهو حديث: «الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن، أو تملأ ما بين السماوات والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء»[139] الحديث.

والشاهد من ذلك جملة: «والصبر ضياء» التي تناولها ابن رجب بالشرح والتحليل، والتقرير، وفيما يلي بيان لأهم ما جاء في ذلك: أولاً: تفسيره لكون الصبر ضياءً: قال -رحمه الله-: «وأما الصبر فإنه ضياء، والضياء: هو النور الذي يحصل فيه نوع حرارة وإحراق كضياء الشمس بخلاف القمر؛ فإنه نورٌ محضٌ فيه إشراق بغير إحراق، قال الله -عز وجل-: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا﴾ [يونس:5]»[140].

ثم يذكر أن لهذا نظيراً، وهو أن الله -عز وجل- وصف شريعة موسى بأنها ضياءٌ كما قال -تعالى-: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [الأنبياء:48]، وإن كان قد ذكر أن في التوراة نوراً كما قال: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ [المائدة:44].

ولكن الغالب على شريعتهم الضياء، ويعلل لذلك لما فيها من الآصار والأغلال والأثقال[141].

ويذكر مقابل ذلك شريعة محمد صلى الله عليه وسلم وأن الله وصفها بأنها نور، ويعلل لذلك لما فيها من الحنيفية السمحة، قال -تعالى-: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة:15]، وأن هذه الأمة رُفِعَت عنها الآصار والأغلال التي كانت على من قبلها، وأُمِرَ الناس جميعاً بأن يتبعوا النور الذي أنزل على النبي الخاتم الأمي -عليه صلوات الله وسلامه-.

ثم قرر أن الصبر لما كان شاقاً على النفوس، ويحتاج إلى مجاهدة النفس وحبسها كان ضياءً بهذا الاعتبار[142].

ثانياً: تقريره لأنواع الصبر المحمود: فلقد قرر أن الصبر المحمود أنواع؛ فمنه صبر على طاعة الله، وصبر عن معاصي الله، وصبر على أقداره -عز وجل-.

وقرر -كذلك- أن الصبر على الطاعات، وعن المحرمات أفضل من الصبر على الأقدار المؤلمة، وذكر آثاراً عن السلف في ذلك كسعيد بن جبير وميمون بن مهران وغيرهما.

وقرر -كذلك- أن من أفضل أنواع الصبر الصيام، وعلل لذلك بأنه يجمع الصبر على الأنواع الثلاثة؛ لأنه صبر على الطاعة، وعن المعصية؛ لأن العبد يترك شهواته لله -عز وجل- ونفسه تنازعه عليها.

ويستدل على ذلك بحديث: «كلُّ عمل ابن آدم له إلا الصيام؛ فإنه لي وأنا أجزي به، إنه ترك طعامه وشرابه من أجلي»[143].

وقرر -كذلك- أن في الصيام صبراً على الأقدار المؤلمة بما قد يحصل للصائم من الجوع والعطش[144].

(138) جامع العلوم الحكم 1/490.
(139) رواه مسلم (224).
(140) جامع العلوم والحكم 2/24.
(141) انظر: جامع العلوم والحكم 2/24-25.
(142) انظر: جامع العلوم والحكم 2/24-25.
(143) أخرجه البخاري (1904)، ومسلم (1151).
(144) انظر: جامع العلوم والحكم 2/26.

وهكذا يتبين من خلال هذا المبحث تقرير ابن رجب للتلازم بين أفرادٍ من حسن الخلق وسلامة العقيدة، ألا وهي القضاء والقدر، والصبر وبعض ما يتعلق به.

المبحث الثالث: تقرير ابن رجب للتلازم بين أفراد سوء الخلق وزيغ العقيدة.

المطلب الأول: تقريره للتلازم بين الكذب والخلف، والفجور، والغدر والخيانة وبين زيغ العقيدة.

المسألة الأولى: تقريره المجمل للتلازم بين هذه الأخلاق والنفاق:

تعرض ابن رجب للأخلاق المرذولة الآنف ذكرها في شرحه لحديث «أربع من كن فيه كان منافقاً، وإن كانت فيه خصلة منهن كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذ حَدَّثَ كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا خاصم فجر، وإذا عاهد غدر»[145].

وفي مفتتح شرحه لهذا الحديث ساق رواية أخرى في الصحيحين، وهي: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان».

وفي رواية لمسلم: «وإن صام وزعم أنه مسلم» وفي رواية له –أيضاً–: «من علامات المنافق ثلاثة...» [146].

فتحصَّل له من مجموع هذه الروايات خمسُ خصالٍ من النفاق.

ثم أوضح أن هذا الحديث قد أشكل على بعضهم، فحمله –كما يقول– طائفة ممن يميلون إلى الإرجاء على المنافقين الذين كانوا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم فإنهم حدثوا النبي صلى الله عليه وسلم فكذَّبوه، وائتمنهم على سرِّه فخانوه، ووعدوه بالخروج في الغزو معه فأخلفوه.

وذكر أن هذا التأويل رواه محمد المُحَرَّم عن عطاء، وأنه قال: حدثني به جابر عن النبي ﷺ وذكر أن الحسن رجع إلى قول عطاء هذا لما بلغه عنه[147].

ثم عقَّب ابن رجب على ذلك بقوله: «وهذا كذبٌ، والمحَرَّمُ هذا شيخ كذَّاب معروف بالكذب».

إلى أن قال: «وهذا لا يصح عن عطاءٍ، والحسنُ لم يقل هذا من عنده، وإنما بلغه عن النبي صلى الله عليه وسلم فالحديث ثابت لا شك في ثبوته وصحته»[148].

ثم بين أن الذي فسَّره به أهلُ العلمِ المعتبرون أن النفاق من جنس الخداع، والمكر، وإظهار الخير، وإبطان خلافه.

ثم بين أن النفاق في الشرع ينقسم إلى قسمين: أحدهما: النفاق الأكبر: وهو الذي يظهر الإنسان الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم والآخر، ويبطن ما يناقض ذلك كلَّه أو بعضه.

وهذا هو النفاق المخرج من الملة، وهو الذي كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ونزل القرآن بذم أهله، وتكفيرهم، وأخبر أنهم في الدرك الأسفل من النار.

والثاني: وهو النفاق الأصغر، أو النفاق العملي، أو نفاق العمل، وهو أن يظهر الإنسان علانية صالحة، ويبطن خلاف ذلك؛ فهذا هو مفهوم النفاق عنده بقسميه.

(145) أخرجه البخاري (34، و2459)، ومسلم (58).
(146) البخاري (33)، ومسلم (59).
(147) انظر: جامع العلوم والحكم 48/2-481.
(148) جامع العلوم والحكم 481/2.

ثم يربط بين الخصال المذكورة في الأحاديث السالفة وبين النفاق؛ ويقرر أنها هي أصول النفاق العملي[149].

ثم شرع في تفصيل الكلام على آحاد تلك الخصال، وارتباطها بالنفاق.

وبعد أن فصَّل الكلام حولها أكَّد على ما ذكره في مبدأ كلامه، فقال: «وحاصل الأمر أن النفاق كلَّه يرجع إلى اختلاف السريرة والعلانية، قاله الحسن.

وقال الحسن –أيضاً–: من النفاق اختلاف القلب واللسان، واختلاف السر والعلانية، واختلاف الدخول والخروج»[150].

ثم أورد أحاديث وآثاراً عن السلف في مفهوم النفاق، والتحذير منه، وكون المنافق يتكلم بالحكمة ويعمل بالجور، ويصف الإيمان، ولا يعمل به[151].

فهذا هو حاصل تقريره المجمل للتلازم بين تلك الأخلاق والنفاق.

المسألة الثانية: تقريره المفصَّل للتلازم بين هذه الأخلاق والنفاق:

والمقصود بذلك تناوله خصالَ النفاقِ كلَّ واحدةٍ منها على حِدَةٍ؛ فابن رجب –رحمه الله– قرر أن أصول النفاق ترجع إلى الخصال الخمسة، ثم شرع في تفصيل الكلام عليها على نحو ما سيأتي:

أولاً: الكذب: لقوله صلى الله عليه وسلم: «إذا حدث كذب» وذلك ما عبر عنه ابن رجب بأن يحدِّث بحديث لمن يُصَدِّقه وهو كاذب له.

واستدل على ذلك بما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «كبرت خيانةً أن تحدث أخاك حديثاً هو لك مصدق، وأنت به كاذب»[152].

وأورد مقولة الحسن: «كان يقال: أُسُّ النفاق الذي بني عليه النفاقُ الكذبُ»[153].

وهو –بذلك– يربط بين الكذب والنفاق.

ثانياً: الخُلْف: ويعبِّر عنه بأنه إذا وعد أخلف، وقد قرر أنه على نوعين: أحدهما أن يَعِدَ ومن نيته ألا يفي بوعده، وهذا أشر الخلف.

بل قرر أنه لو قال: أفعل كذا إن شاء الله، ومن نيته ألا يفعل كان ذلك كذباً وخلفاً، ونقل ذلك عن الأوزاعي.

والثاني: أن يعد، ومن نيته أن يفي، ثم يبدو له، فيخلف من غير عُذر له في الخُلف؛ فهذا معدود عنده من الخلف، بخلاف ما إذا كان له عذر؛ فظاهر كلام ابن رجب أن ذلك لا يعد خُلْفاً[154].

واستدل على ذلك بعدة أحاديث، وختم كلامه بذكر الخلاف بوجوب الوفاء بالوعد، فقال: «فمنهم من أوجبه مطلقاً، وذكر البخاري في صحيحه أن ابن أشوع قضى بالوعد، وهو قول طائفة من أهل العلم الظاهر وغيرهم.

ومنهم من أوجب الوفاء به إذا اقتضى تغريماً للموعود، وهو المحكيُّ عن مالكٍ، وكثيرٌ من الفقهاء لا يوجبونه مطلقاً»[155].

وفي ذلك التقرير ربط للخلف بالكذب، وبيانٌ لكونهما من خصال النفاق.

(149) انظر: جامع العلوم والحكم 482/2.
(150) جامع العلوم والحكم 490/1.
(151) انظر تفصيل ذلك في: المرجع السابق 490/1-495.
(152) أخرجه أحمد 183/2، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد 98/8: «فيه شيخ الإمام أحمد عمر بن هارون ضعيف، وبقية رجاله ثقات».
(153) جامع العلوم والحكم 482/2.
(154) انظر: جامع العلوم والحكم 482/2.
(155) انظر: جامع العلوم والحكم 485/2-486.

ثالثاً: الفجور: وذلك أنه إذا خاصم فجر.

ويقرر ابن رجب معنى ذلك بقوله: «ويعني بالفجور أنه يَخْرُجُ عن الحق عمداً حتى يُصيّر الحقَّ باطلاً، والباطلَ حقاً، وهذا ما يدعو إليه الكذب»[156].

وهو بهذا يربط الفجور بالكذب، وهما –جميعاً– مرتبطان بالنفاق.

ويستدل على ذلك بعدة أحاديث، ومنها قوله ﷺ: «إياكم والكذبَ؛ فإن الكذبَ يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار»[157].

وقوله عليه الصلاة والسلام: «إن أبغض الرجال إلى الله الأَلَدُّ الخَصِم»[158].

ثم يربط هذه الخصلة بالنفاق، وخبث الطوية؛ فيقرر أن الرجل إذا كان ذا قدرة عند الخصومة –سواء كانت خصومته في الدين أو الدنيا– على أن ينتصر للباطل؛ فيجعله في صورة الحق، أو أن يوهن الحق؛ فيخرجه في صورة الباطل – كان ذلك من أقبح المحرمات، ومن أخبث خصال النفاق[159].

ويستدل على ذلك بما جاء في سنن أبي داود عن النبي صلى الله عليه وسلم: «من خاصم في باطل وهو يعلمه لم يزل في سخط الله حتى ينزع»[160].

ويستدل –كذلك– بالرواية الأخرى: «ومن أعان على خصومة بظلم فقد باء بغضب من الله»[161].

والرواية الثانية فيها مزيد معنى؛ إذ يدخل في الوعيد مجرد الإعانة.

رابعاً: الغدر: وذلك –كما يقول ابن رجب– إذا عاهد غدر ولم يَفِ بالعهد؛ فذلك الخُلُقُ الذميم داخل في النفاق، وقد أمر الله بالوفاء بالعهد[162].

ويستدل على ذلك ببعض الآيات والأحاديث كقوله –تعالى–: ﴿وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولٗا﴾ [الإسراء:34]، وقوله: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [النحل:91].

وبقوله صلى الله عليه وسلم: «لكل غادر لواء يوم القيامة يعرف به» وفي رواية: «إن الغادر ينصب له لواءٌ يوم القيامة، فيقال: ألاَ هذه غَدْرَةُ فلان»[163].

ثم يقرر أن الغدر حرام في كل عهد بين المسلم وغيره، ولو كان المعاهد كافراً، ويستدل على ذلك بحديث: «من قتل معاهداً لم يَرَحْ رائحة الجنة»[164].

ويقرر كذلك أن الله أمر بالوفاء بعهود المشركين ما داموا مقيمين على عهودهم، وأن الوفاء بعهود المسلمين فيما بينهم أشد، ونقضها أعظم إثماً، وأن من أعظمها نقضَ بيعة الإمام على من بايعه، وأن مما يدخل في العهود التي يجب الوفاء بها، ويحرم بالغدر فيها جميع عقود المسلمين فيما بينهم إذا تراضوا عليها من المبايعات، والمناكحات، وغيرها.

وكذلك ما يجب الوفاء به لله –عز وجل– مما يعاهد العبدُ ربَّه عليه من نذر التبرُّر وغيره[165].

خامساً: الخيانة في الأمانة: حيث قرر أن الرجل إذا اؤتمن أمانة وجب عليه أداءَها، وأن الخيانة من خصال النفاق[166].

ويستدل على ذلك بآيات وأحاديث، ومنها قوله –تعالى–: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ [النساء:58].

وقول النبي صلى الله عليه وسلم: «أدِّ الأمانة إلى من ائتمنك»[167].

ثم يختم كلامه على هذه الخصال الخمس بما روي عن محمد بن كعب القرظي أنه استنبط من القرآن ما جاء من الخصال المذكورة في الحديث؛ فقال: «مصداق ذلك في كتاب الله –تعالى–: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون:1].

وقال –تعالى–: ﴿وَمِنۡهُم مَّنۡ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنۡ ءَاتَىٰنَا مِن فَضۡلِهِۦ﴾ إلى قوله: ﴿فَأَعۡقَبَهُمۡ نِفَاقٗا فِي قُلُوبِهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ يَلۡقَوۡنَهُۥ بِمَآ أَخۡلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ﴾ [التوبة:75–77].

وقال: ﴿إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ﴾ إلى قوله: ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ﴾ [الأحزاب:72–73]»[168].

ويقرر بعد ذلك أن حاصل الأمر أن النفاق الأصغر كلَّه يرجع إلى السريرة والعلانية[169].

وهكذا يتبين من خلال تقريرات السالفة لكل واحدة من الخصال الخمس مدى ربطه لها بزيغ العقيدة وفي صورة من أوضح الصور ألا وهي النفاق.

المطلب الثاني: تقريره للتلازم بين الحسد والكبر وبين زيغ العقيدة.

تطرق ابن رجب لهذه الأخلاق المرذولة من خلال شرحه للأحاديث، وفيما يلي إيضاح لذلك من خلال المسألتين التاليتين:

المسألة الأولى: تقريره للتلازم بين الحسد وزيغ العقيدة:

تطرق ابن رجب للحسد، وبين ارتباطه بنفي الإيمان، أو التشبه بالأمم السابقة، وذلك في موضعين:

الموضع الأول: في شرحه لحديث: «لا تحاسدوا، ولا تناجشوا...» الحديث[170].

والذي يعني ههنا جملة: «لا تحاسدوا» فقد قرر في شرحها مسائل عدة، وأهمها مما هو مرتبط بموضوع البحث ما يلي:

أولاً: تقريره لمفهوم الحسد: حيث قرر أن معنى الحديثِ النهيُ عن التحاسد، وأن الحسد مركوز في طبائع البشر، وهو أن يكره الإنسان أن يفوقه أحدٌ من بني جنسه في شيء من الفضائل.

ثانياً: بيانه لأقسام الناس في الحسد: حيث بيَّن أن الناس ينقسمون فيه إلى أقسام أربعة:

القسم الأول: من يسعى إلى زوال نعمة المحسود بالبغي عليه قولاً أو فعلاً.

ومن هؤلاء من يسعى في نقل النعمة إلى نفسه، ومنهم من يسعى في إزالته عن المحسود فحسب من غير نقل إلى نفسه.

ويقرر ابن رجب أن هذا الأخير هو شرهما، وأخبثهما، وأنه هو الحسد المذموم

(156) جامع العلوم والحكم 486/2.
(157) رواه البخاري (6094)، ومسلم (2607).
(158) رواه البخاري (2457)، ومسلم (2668).
(159) انظر: جامع العلوم والحكم 486/2.
(160) أبو داود (3597)، وصححه الحاكم 27/2.
(161) أبو داود (3598)، وصححه الحاكم 99/4.
(162) انظر: جامع العلوم والحكم 487/2.
(163) رواه البخاري (3188، و6177، و6178)، ومسلم (1735).
(164) رواه البخاري (1672)، ومسلم (108).
(165) انظر: جامع العلوم والحكم 488/2.
(166) انظر: جامع العلوم والحكم 488/2-489.
(167) رواه أبو داود (3535)، والترمذي وحسنه (1264).
(168) رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق، ص33.
(169) انظر: جامع العلوم والحكم 490/2.
(170) رواه مسلم (2564).

المنهي عنه، وأنه كان ذنب إبليس؛ إذ حسد آدم؛ لِمَا خصَّه الله به من الفضائل؛ فما زال يسعى في إخراجه من الجنة حتى أُخرج منها[171].

القسم الثاني: من إذا حسد غيره لم يعمل بمقتضى حسده، ولم يَبْغِ على المحسود بقول أو فعل.

ويذكر في ذلك عن الحسن أن من كان كذلك لا يأثم.

ثم قرر ابن رجب أن هذا القسم على نوعين، فيقول: «أحدهما: أن لا يمكنه إزالة الحسد من نفسه؛ فيكون مغلوباً على ذلك؛ فلا يأثم به.

والثاني من يحدِّث نفسه بذلك اختياراً، ويعيده، ويبديه في نفسه مُسْتَرْوِحاً إلى تمني زوال نعمة أخيه؛ فهذا شبيه بالعزم المصمِّم على المعصية.

وفي العقاب على ذلك اختلاف بين العلماء، لكن يبعد هذا أن يَسْلَمَ من البغي على المحسود، ولو بالقول؛ فيأثم بذلك»[172].

القسم الثالث: من إذا حسد لم يتمنَّ زوال نعمة المحسود، بل يسعى في اكتساب مثل فضائله، ويتمنى أن يكون مثله.

ثم يُفَصِّل ابن رجب في ذلك فيفرق بين الفضائل؛ فإن كانت دنيوية فإنه يرى أن لا خير في ذلك، ويستشهد على ذلك بحال الذين ذمهم الله بقولهم: ﴿يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ﴾ [القصص:79].

وإن كانت الفضائل دينية فيرى أن ذلك حسن، وأَنَّ مِنْهُ تمنِّيَ النبيِّ صلى الله عليه وسلم الشهادةَ في سبيل الله -عز وجل-.

ويستدل على ذلك بما جاء في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار»[173].

ويرى ابن رجب أن هذا هو الغبطة، وسمي حسداً من باب الاستعارة.

القسم الرابع: من إذا رأى من نفسه الحسد سعى في إزالته، وفي الإحسان إلى المحسود بشتى أنواع الإحسان، وفي إزالة ما وجد له في نفسه من الحسد حتى يُبْدِلَه بمحبةِ أن يكون أخوه المسلم خيراً منه[174].

ويرى ابن رجب أن هذا القسم أنه من أعلى درجات الإيمان، وأن صاحبه هو المؤمن الكامل الذي يحب لأخيه ما يحب لنفسه[175].

ثالثاً: تقريره أن الحسد نوعٌ من أنواع التشبه بالأمم السابقة: فبعد أن أوضح القِسْمَ الأول من أقسام الحسد المذموم المنهي عنه قرر أن هذا وصف الله لليهود الذين وصفهم بالحسد في مواضع من كتابه القرآن كقوله -تعالى-: ﴿وَدَّ كَثِيرٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا حَسَدٗا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۚ﴾ [البقرة:109][176].

ثم ذكر بعض الأحاديث في ذلك الشأن كحديث: «دب إليكم داء الأمم من قبلكم: الحسد والبغضاء....»[177].

وحديث: «سيصيب أمتي داء الأمم» قالوا: يا نبي الله وما داء الأمم؟ قال: «الأشر، والبطر، والتكاثر، والتنافس في الدنيا، والتحاسد حتى يكون البغي، ثم الهرج»[178].

فهذا هو أهم ما قرره في هذا الموضع.

الموضع الثاني ما جاء في شرحه لحديث أنس -رضي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[179].

والذي يعني من ذلك تقريره أن المرادَ بنفيِ الإيمان نفيُ بلوغِ حقيقته ونهايته؛ فإن الإيمان كثيراً ما ينفى لانتفاء بعض أركانه وواجباته.

ثم انتقل إلى اختلاف العلماء في مسمى مرتكب الكبيرة، هل يسمى مؤمناً ناقص الإيمان؟ أَوْ لا يسمى مؤمناً، وإنما يقال: مسلم، وليس بمؤمن؟

ثم بيَّن أن ذلك على قولين، وهما روايتان عن أحمد، وساق الخلافَ والأقوالَ في ذلك.

ثم قال: «والمقصود أن من جملة خصال الإيمان الواجبة أن يحب المرء لأخيه المؤمن ما يحبه لنفسه، ويكره ما يكرهه لنفسه؛ فإذا زال ذلك عنه فقد نقص إيمانُه بذلك»[180].

وبعد أن ساق عدداً من الأحاديث، والآثار عن السلف الصالح في ذلك المعنى قال: «وحديث أنس الذي نتكلم الآن فيه يدل على أن المؤمن يسره ما يسر أخاه المؤمن، ويريد لأخيه المؤمن ما يريده لنفسه من الخير»[181].

ثم قرر أن هذا كله إنما يأتي من كمال سلامة الصدر من الغل، والغش، والحسد؛ فإن الحسد يقتضي أن يكره الحاسد أن يفوقه أحد في خير، أو يساويه فيه؛ لأنه يحب أن يمتاز على الناس بفضائله، وينفرد بها عنهم.

والإيمان يقتضي خلاف ذلك، وهو أن يَشْرَكَه المؤمنون كلُّهم فيما أعطاه الله من الخير من غير أن ينقص عليه منه شيء»[182].

المسألة الثانية: تقريره للتلازم بين الكبر وزيغ العقيدة:

تطرق ابن رجب للكبر، وبيَّن فساده، وقبحه، وذلك في موضعين:

الموضع الأول: في شرحه لحديث «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[183].

وذلك بعد أن قرر أن من مقتضيات الإيمان أَنْ يَسُرَّ المؤمنَ ما يسر أخاه، وأن الحسد عكس ذلك- انتقل إلى مسألة أخرى وهي ذم الكبر، والعلو في الأرض، وأن الله أثنى في كتابه على من لا يريد العلو ولا الفساد في الأرض، فقال: ﴿تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗاۚ﴾ [القصص:83].

وأورد قول عكرمة وغيره من المفسرين في هذه الآية؛ حيث فسروا العلو في الأرض بأنه: التكبر، وطلب الشرف، والمنزلة عند ذي سلطانها[184].

ثم انتقل إلى مسألةِ مَنْ كَرِهَ أن يفوقَه غيرُه من الناس في الجَمَال، هل يأثم أوْ لا؟

(171) انظر: جامع العلوم والحكم 260/2.
(172) جامع العلوم والحكم 262/2.
(173) البخاري (5025)، ومسلم (815).
(174) انظر: جامع العلوم والحكم 262/2.
(175) انظر: جامع العلوم والحكم 263/2.
(176) انظر: جامع العلوم والحكم 263/2.
(177) رواه أحمد 165/1-167، والترمذي (2510) وجوَّد إسناده المنذري في الترغيب والترهيب 548/3.
(178) رواه الحاكم 168/4، وصححه.
(179) رواه البخاري (13)، ومسلم (45).
(180) جامع العلوم والحكم 303/1
(181) جامع العلوم والحكم 306/1.
(182) جامع العلوم والحكم 306/1.
(183) رواه البخاري (13)، ومسلم (45).
(184) انظر: جامع العلوم والحكم 306/1-307.

فقرر أنه قد ورد أنه لا يأثم، واستدل بما جاء من حديث ابن مسعود –رضي الله عنه– قال: «أتيت النبي ﷺ وعنده مالك بن مرارة الرَّهاوي، فأدركته وهو يقول: (يا رسول الله قد قُسِم لي من الجَمال ما ترى؛ فما أحب أحداً من الناس فَضُلَني بشراكين فما فوقهما أليس هذا من البغي؟).

فقال: (لا؛ ليس ذلك بالبغي؛ ولكن البغي بطر الحق –أو قال– سفه الحق، وغمص الناس»[185].

وذكر رواية لأبي هريرة –رضي الله عنه– عند أبي داود «الكبر»[186] بدل «البغي».

ثم أعقب ذلك بقوله: «فنفى أن تكون كراهته لأن يفوقه أحدٌ في الجمال؛ بغياً، أو كبراً إذا خالف هواه»[187].

ثم قرر أن مَنْ قَبِلَ الحق ممن جاء به سواء كان صغيراً أو كبيراً، وسواء كان يحبه أو لا يحبه – فهو متواضع، ومن أبى قبول الحق؛ تعاظماً عليه فهو متكبر.

وأوضح –كذلك– أن غَمْصَ الناس: هو احتقارهم، وازدراؤهم، وأن ذلك يحصل جَرَّاء النظر إلى النفس بعين الكمال، وإلى غيره بعين النقص[188].

الموضع الثاني: عند شرحه لحديث: «بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم»[189]: حيث بين أنه يكفي المسلم من الشر احتقار أخيه المسلم، ثم قرر أن ذلك ناتج عن تكبر عليه، وأن الكبر من أعظم خصال الشر[190].

ثم استدل على ذلك بأحاديث في ذلك كحديث: «لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر»[191].

وحديث: «العزُّ إزاره، والكبر رداؤه؛ فمن نازعني عذبته»[192].

ثم قرر أن الكبر منازعة لله في أخص حقوقه، وهي صفاته التي لا تليق إلا به، وكفى بذلك شرًّا[193].

وهكذا يقرر مدى التلازم بين الحسد والكبر وبين زيغ العقيدة.

المسألة الثالثة: تقريره للتلازم بين الغضب وزيغ العقيدة:

تطرق ابن رجب لتفصيل الكلام على الغضب في شرحه لحديث الرجل الذي قال للنبي ﷺ أوصني قال: «لا تغضب» فردَّد مراراً قال: «لا تغضب»[194].

وقد أفاض ابن رجب في شرحه لهذا الحديث، وأوضح من خلال ذلك ما يترتب على الغضب من الشر والفساد في الدين والدنيا، وما يترتب على تركه من الخير للإنسان في دينه ودنياه، وهذا ما سيتضح من خلال ما يلي:

أولاً: تقريره لعظم هذه الوصية: وفي ذلك يقول: «فهذا الرجل طلب من النبي ﷺ أن يوصيه وصية وجيزة جامعة لخصال الخير؛ ليحفظها عنه؛ خشيةَ ألا يحفظها؛ لكثرتها؛ فأوصاه النبي ﷺ ألا يغضب، ثم رد الرجل هذه المسألة عليه مراراً، والنبي صلى الله عليه وسلم يردد عليه هذا الجواب؛ فهذا يدل على أن الغضب جماع الشر، وأن التحرز منه جماع الخير»[195].

(185) رواه أحمد 385/1، وصححه الحاكم 182/4.
(186) أبو داود (4092).
(187) جامع العلوم والحكم 307/1.
(188) انظر: جامع العلوم والحكم 307/1.
(189) رواه مسلم (2564).
(190) رواه مسلم (2564).
(191) رواه مسلم (91).
(192) رواه مسلم (2620).
(193) انظر: جامع العلوم والحكم 278/2-279.
(194) رواه البخاري (6116).
(195) جامع العلوم والحكم 363/1.

ثم يؤكد –رحمه الله– ذلك بإيراد بعض الآثار التي تفيد ذلك؛ فَيَذْكُر قول جعفر بن محمد: «الغضب مفتاح كل شر»[196].

ويذكر عن ابن المبارك أنه لما قيل له: «اجمع لنا حسن الخلق في كلمة» قال: «ترك الغضب»[197].

ثم أورد نحواً من ذلك عن الإمام أحمد، وإسحاق بن راهويه.

ثانياً: إيضاحه لمعنى «لا تغضب»: حيث ذكر أنه يحتمل أمرين.

أحدهما: أن يكون المرادُ الأمرَ بالأخذ بالأسبابِ الموجبةِ لحسن الخلق من نحو الكرم، والحلم، والحياء، والتواضع، والاحتمال، وكف الأذى، والصفح، والعفو، وكظم الغيظ، والطلاقة، والبشر، ونحو ذلك من جميل الأخلاق.

ثم قرر أن النفس إذا تخلقت بتلك الأخلاق، وتكلفتها، وصارت عادة لها أوجب ذلك دفعَ الغضب عند حصول أسبابه[198].

والثاني: أن يكون المراد: لا تعمل بمقتضى الغضب إذا حصل لك.

ومعنى ذلك –كما يقرر– أن يجاهد نفسه على ترك إنفاذه؛ لأن الغضب إذا تمكن من الإنسان صار الحاكمَ عليه.

ثم يعلل لذلك بقوله: «ولهذا قال الله –عز وجل–: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ﴾ [الأعراف:154].

فإذا لم يمتثل الإنسان ما يأمره به غَضَبُه، وجاهد نفسه على ذلك اندفع عنه شر الغضب، وربما سكن غضبه، وذهب عاجلاً، فكأنه حينئذ لم يغضب»[199].

ثم بيَّن أن هذا المعنى وقعت الإشارة إليه في القرآن في وصف أهل الإيمان والإحسان والتقوى كما في قوله –تعالى–: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ [الشورى:37]، وكما في قوله: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران:134][200].

ثالثاً: ذِكْرُهُ للأسباب التي تدفع الغضب: حيث ذكر أسباباً واردة عن النبي صلى الله عليه وسلم لدفع الغضب، وتسكينِه، ومَدْحِ من كان كذلك.

ومن جملة تلك الأسباب الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم[201]، والجلوس أو الاضطجاع إذا كان قائماً[202].

أما الاستعاذة فواضح معناها، وأثرها في دفع الغضب، وارتباطها – كذلك– بالاعتقاد؛ إذ الاستعاذة داخلة في التوحيد العملي.

وأما الجلوس، أو الاضطجاع فذكر أنه قيل في معنى ذلك: أن القائم متهيئ للانتقام، والجالس دونه في ذلك، والمضطجع أبعد عنه؛ فأمره بالتباعد حال الانتقام.

ومن جملة ما ذكر من أسباب دفع الغضب السكوت، وعلل لذلك بأن الغضبان يصدر منه حال غضبه من القول ما يندم عليه في حال زوال غضبه من السباب وغيره مما يعظم عليه ضرره؛ فإذا سكت زال عنه هذا الشر كله.

(196) جامع العلوم والحكم 363/1.
(197) جامع العلوم والحكم 364/1.
(198) انظر: جامع العلوم والحكم 364/1.
(199) جامع العلوم والحكم 364/1.
(200) انظر: جامع العلوم والحكم 364/1.
(201) البخاري (6115، و3282)، ومسلم (2610).
(202) انظر: المسند 152/5، وسنن أبي داود (4782)، وصحيح ابن حبان (5688).

وذكر كذلك الوضوء والاغتسال كما جاء في الأحاديث من أن الغضب من الشيطان، والشيطان خلق من النار، والنار تُطفأُ بالماء[203].

رابعاً: إيراده لفضائل ترك الغضب: حيث أورد أحاديث عدة في ذلك، ومنها حديث «ليس الشديد بالصُّرعة، وإنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب»[204].

وحديث «من كظم غيظاً وهو يستطيع أن ينفذه دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيره من أي الحور شاء»[205].

خامساً: بيانه لآثار الغضب على عقيدة الإنسان وإيمانه: وذلك عندما أورد كلمة للحسن: «أربع من كن فيه عصمه الله من الشيطان، وحَرَّمه على النار: من ملك نفسه عند الرغبة والرهبة، والشهوة، والغضب»[206].

ثم شرح ابن رجب هذه الكلمات الثلاث الأُوَل وأثرها على دين الإنسان، ثم قال في الغضب: «هو غليان دم القلب؛ طلباً لدفع المؤذي عند خشية وقوعه، أو طلباً للانتقام ممن حصل منه الأذى بعد وقوعه»[207].

ثم ذكر ما ينشأ عن تلك الآثار التي تنال نَيْلَها من عقيدة الإنسان وإيمانه، وربما أوقعته في نقص إيمانه أو فساد دينه واعتقاده.

وفي ذلك يقول: «وينشأ عن ذلك -أي الغضب- كثير من الأفعال المحرمة كالقتل، والضرب، وأنواع الظلم، والعدوان، وكثير من الأقوال المحرمة كالقذف، والسب، والفحش، وربما ارتقى إلى درجة الكفر»[208].

وهكذا يتبين من خلال هذه المسألة مدى تقريره للتلازم بين الغضب وزيغ العقيدة.

المسألة الرابعة: تقريره للتلازم بين الظلم وزيغ العقيدة:

الظلم خلق سافل، وذنب عظيم، بل إن منشأ جميع الأخلاق السافلة -كما يقول ابن القيم- تبنى على أربعة أركان: الجهل، والظلم، والشهوة، والغضب[209].

والظلم هو وضع الشيء في غير موضعه، ويطلق على مجاوزة الحد، والتعدي عن الحق إلى الباطل، والتصرف في ملك الآخرين[210].

ولقد تطرق ابن رجب لموضوع الظلم، وأفاض في الكلام عنه في عدة مواضع، وأهم ما في ذلك وأشمله، ما جاء في شرحه لحديث «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا» الحديث[211].

وقد تناول ابن رجب هذا الحديث بالشرح، والتحليل، وربطه بالاعتقاد، وذلك من خلال ما يلي: أولاً: إيضاحه معنى أن الله حرم الظلم على نفسه: حيث قرر أن الله -عز وجل- منع نفسه من الظلم لعباده، واستدل على ذلك بما جاء في الحديث، وبآيات من الكتاب العزيز كقوله -تعالى-: ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [ق:29]، وقوله: ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾ [غافر:31]، وقوله: ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران:108].

وقرر خلال ذلك أن الله -عز وجل- منزه عن الظلم لا لعجزه، وعدم قدرته، وإنما لكمال عدله وفضله، ولطفه وإحسانه، وجوده[212].

ثانياً: بيانه لمعنى الظلم: حيث ذكر بعض الأقوال في ذلك، فقال: «وقد فسر كثير من العلماء الظلم بأنه وضع الأشياء في غير موضعها.

وأما من فسره بالتصرف في ملك الغير بغير إذنه -وقد نقل نحوه عن إياس بن معاوية وغيره- فإنهم يقولون: إن الظلم مستحيل عليه، وغير متصوّر في حقه؛ لأن كل ما يفعله فهو تصرف في ملكه، وبنحو ذلك أجاب أبو الأسود الدؤلي لعمران بن حصين حين سأله عن القدر[213]»[214].

ثم قرر أن كونه -عز وجل- خلق أفعال العباد -وفيها الظلم- لا يقتضي وصفه بالظلم، كما أنه لا يوصف بسائر القبائح التي يفعلها العباد؛ إذ هي منه خَلْقٌ، وتقديرٌ، وإيجادٌ، ومن العباد فعلٌ وكسب؛ فلا يوصف -جل جلاله- إلا بأفعاله، لا بأفعال عباده، فإن أفعال عباده مخلوقاته، ومفعولاتُه.

وهو لا يوصف بشيء منها، وإنما يوصف بما قام به من صفاته، وأفعاله[215].

ثالثاً: بيانه لمعنى تحريم التظالم فيما بين العباد: وذلك في شرحه لقوله -تعالى-: «وجعلته بينكم محرَّماً فلا تظالموا» حيث قال: «يعني أنه -تعالى- حرم الظلم على عباده، ونهاهم أن يتظالموا فيما بينهم؛ فحرام على كل عبد أن يظلم غيره مع أن الظلم في نفسه محرم مطلقاً»[216].

رابعاً: بيانه لأنواع الظلم: حيث قرر أن الظلم على نوعين: أحدهما: ظلم العبد نفسه: وقرر أن أعظمه الشرك، واستدل على ذلك بقوله -تعالى-: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:13].

ثم علل لذلك بقوله: «فإن المشْرِكَ جَعَلَ المخلوقَ في منزلة الخالق؛ فَعَبَدَهُ، وتألهه؛ فوضع الأشياء في غير موضعها.

وأكثر ما ذكر في القرآن من وعيد الظالمين إنما أريد به المشركون»[217].

ثم قرر أن المعاصي -ويعني بها التي دون الشرك- تلي الشرك على اختلاف أجناسها من كبائر وصغائر.

ثم انتقل إلى بيان النوع الثاني من أنواع الظلم، وهو ظلم العبد لغيره، وهو المذكور في حديث أبي ذر -رضي الله عنه-.

ثم ساق جملة من الأحاديث المحذرة من الظلم المبيِّنَةِ لوبيل عاقبته[218].

فهذا أهم ما قرره في شأن الظلم، ومدى ارتباطه بزيغ العقيدة.

وهكذا يتبين من خلال هذا المبحث ما قرره ابن رجب من التلازم بين أفرادٍ من سوء الخلق وزيغ العقيدة.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبعد؛ ففي خاتمة البحث هذه أهم نتائجه، وتوصياته:

أولاً: أهم النتائج

1. أن موضوع التلازم بين الأخلاق والعقيدة حاضرٌ في فكر ابن رجب، وذلك من خلال ربطه بين عموم الأخلاق وأفرادها، وبين العقيدة سلامةً وزيغاً، وتأثراً وتأثيراً.

(203) انظر: جامع العلوم الحكم 366/1.
(204) البخاري (6114)، ومسلم (5609).
(205) أبو داود (4777)، والترمذي (2021)، وقال: «حديث حسن غريب».
(206) جامع العلوم والحكم 368/1.
(207) جامع العلوم والحكم 369/1.
(208) جامع العلوم والحكم 369/1.
(209) انظر: مدارج السالكين لابن القيم 32/3.
(210) انظر: التعريفات، ص144.
(211) رواه مسلم (2577).
(212) انظر: جامع العلوم والحكم 35/2.
(213) انظر: صحيح مسلم (2650).
(214) جامع العلوم والحكم 35/2.
(215) انظر: جامع العلوم والحكم 36/2.
(216) جامع العلوم والحكم 36/2.
(217) جامع العلوم والحكم 36/2-37.
(218) انظر: جامع العلوم والحكم 36/2-37.

2.أنه يربط حسنَ الخلق وأفرادَه بأسماء الدين المحمودة شرعاً كالإسلام، والإيمان، والإحسان، والبر، والتقوى.

3. أنه يربط سوء الخلق وأفراده بالأسماء المذمومة شرعاً، كالنفاق، والشرك، والكفر، والفجور، والفسوق.

4. أنه طبق ذلك عمليًّا من خلال دراسته لحسن الخلق عموماً، وبعض أفراده كالحياء، والكرم، والصبر.

وطبَّق ذلك -أيضاً- من خلال دراسته لسوء الخلق، وبعض أفراده كالكذب، والخُلف، والفجور، والغدر، والخيانة، والحسد، والكبر، والغضب، والظلم.

ثانياً: التوصيات

يوصي الباحث بموضوعٍ يرى أهميته، وهو: (منهج ابن رجب الحنبلي في دراسة العمل الصالح).

الدعم المالي

يؤكد الباحثون أن هذا العمل العلمي لم يحصل على أي دعم مالي من أي جهة حكومية أو خاصة، وأنه تم إعداده وتمويله ذاتياً.

الإفصاح والتصريحات

تضارب المصالح: ليس لدى المؤلفون أي مصالح مالية أو غير مالية ذات صلة للكشف عنها. المؤلفون يعلنون عن عدم وجود أي تضارب في المصالح.

الوصول المفتوح: هذه المقالة مرخصة بموجب ترخيص إسناد الإبداع التشاركي غير تجاري 4.0 الدولي(CC BY- NC 4.0) ، الذي يسمح بالاستخدام والمشاركة والتعديل والتوزيع وإعادة الإنتاج بأي وسيلة أو تنسيق، طالما أنك تمنح الاعتماد المناسب للمؤلف (المؤلفين) الأصليين. والمصدر، قم بتوفير رابط لترخيص المشاع الإبداعي، ووضح ما إذا تم إجراء تغييرات. يتم تضمين الصور أو المواد الأخرى التابعة لجهات خارجية في هذه المقالة في ترخيص المشاع الإبداعي الخاص بالمقالة، إلا إذا تمت الإشارة إلى خلاف ذلك في جزء المواد. إذا لم يتم تضمين المادة في ترخيص المشاع الإبداعي الخاص بالمقال وكان الاستخدام المقصود غير مسموح به بموجب اللوائح القانونية أو يتجاوز الاستخدام المسموح به، فسوف تحتاج إلى الحصول على إذن مباشر من صاحب حقوق الطبع والنشر. لعرض نسخة من هذا الترخيص، قم بزيارة: https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0

قائمة المصادر والمراجع

ابن الجوزي. زاد المسير في علم التفسير. بيروت ودمشق: المكتب الإسلامي، ط4، 1407هـ – 1987م.

ابن حبان. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان. تحقيق شعيب الأرناؤوط. بيروت: مؤسسة الرسالة، ط2، 1414هـ – 1993م.

ابن حجر العسقلاني. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة. الهند: دار المعارف العثمانية، ط2، 1395هـ – 1975م.

ابن حجر العسقلاني. وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام. تحقيق بشار عواد معروف وآخرين. بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1416هـ – 1995م.

ابن حنبل، أحمد. الزهد. وضع حواشيه محمد عبدالسلام شاهين. بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1420هـ – 1999م.

ابن حنبل، أحمد. مسند الإمام أحمد بن حنبل. د.م.: دار الدعوة ودار سحنون، ط2، د.ت.

ابن رجب الحنبلي. جامع العلوم والحكم. تحقيق شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باجس. بيروت: مؤسسة الرسالة، ط2، 1412هـ – 1991م.

ابن عاشور، محمد الطاهر. أصول النظام الاجتماعي في الإسلام. تونس والقاهرة: دار السلام ودار سحنون، ط2، 1427هـ – 2006م.

ابن عاشور، محمد الطاهر. تفسير التحرير والتنوير. تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع، د.ت.

ابن عبدالهادي (ابن المبرد)، يوسف بن الحسن. الجوهر المنضد في طبقات متأخري أصحاب أحمد. تحقيق عبدالرحمن العثيمين. الرياض: مكتبة العبيكان، ط1، 1421هـ – 2000م.

ابن فارس، أحمد. معجم مقاييس اللغة. تحقيق عبدالسلام هارون. بيروت: دار الجيل، ط1، 1411هـ.

ابن قيم الجوزية. الفوائد. مكة المكرمة: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، ط1، 1429هـ.

ابن قيم الجوزية. مدارج السالكين في منازل السائرين. مكة المكرمة: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، ط1، 1440هـ – 2019م.

ابن المقفع، عبدالله. الأدب الصغير والأدب الكبير. شرح ودراسة مفيد قميحة. بيروت: دار الشواف، ط1، 1989م.

ابن منظور الأفريقي. لسان العرب. بيروت: دار الفكر، د.ت.

أبو داود، سليمان بن الأشعث. سنن أبي داود. د.م.: دار الدعوة ودار سحنون، ط2، د.ت.

أبو عبيد، القاسم بن سلام. غريب الحديث. تحقيق محمد بن عبدالمعين خان. حيدر أباد: مطبعة دائرة المعارف، ط1، 1284هـ – 1964م.

الألباني، محمد ناصر الدين. سلسلة الأحاديث الصحيحة. د.م.: المكتب الإسلامي، ط4، 1405هـ.

البخاري، محمد بن إسماعيل. صحيح البخاري. عناية أبي صهيب الكرمي. الرياض: بيت الأفكار الدولية، 1419هـ – 1998م.

الجاحظ، أبو عثمان. تهذيب الأخلاق. تعليق أبي حذيفة إبراهيم بن محمد. طنطا: دار الصحابة للتراث، ط1، 1400هـ – 1989م.

الجرجاني، الشريف. التعريفات. بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1403هـ – 1983م.

حسين، صالح سالم عباد. المسائل العقدية في كتاب فتح الباري في شرح صحيح البخاري للحافظ ابن رجب الحنبلي: دراسة وصفية استقرائية. جمهورية السودان، 1439هـ – 2018م.

الخرائطي، محمد بن جعفر. مكارم الأخلاق. تحقيق أيمن البحيري. مصر: دار الآفاق العربية، ط1، 1419هـ.

الذهبي، شمس الدين. سير أعلام النبلاء. تخريج وإشراف شعيب الأرناؤوط. بيروت: مؤسسة الرسالة، ط4، 1406هـ – 1986م.

الشبل، علي بن عبدالعزيز. منهج الحافظ ابن رجب الحنبلي في العقيدة. الرياض: دار العاصمة، 1421هـ – 2001م.

الطبراني، سليمان بن أحمد. المعجم الكبير. تحقيق حمدي السلفي. القاهرة: مكتبة ابن تيمية، د.ت.

الترمذي، محمد بن عيسى. سنن الترمذي. د.م.: دار الدعوة ودار سحنون، ط2، د.ت.

عبدالقادر، حامد. معجم ألفاظ القرآن. القاهرة: مجمع اللغة العربية، 1417هـ – 1996م.

العسكري، أبو هلال. الفروق في اللغة. تحقيق جمال عبدالغني مدغمش. بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1422هـ – 2002م.

العماد الحنبلي، عبدالحي بن أحمد. شذرات الذهب في أخبار من ذهب. بيروت: المكتب التجاري للطباعة والتوزيع، د.ت.

الغفيلي، عبدالله بن سليمان. ابن رجب الحنبلي وأثره في توضيح عقيدة السلف. الرياض: دار المسير، ط1، 1418هـ – 1998م.

الفيروز أبادي، مجد الدين. القاموس المحيط. بيروت: مؤسسة الرسالة، ط2، 1407هـ.

القاسمي، جمال الدين. جوامع الآداب في أخلاق الإنجاب. د.م.: مؤسسة قرطبة، د.ت.

الكفوي، أبو البقاء. الكليات. إعداد عدنان درويش ومحمد المصري. بيروت: مؤسسة الرسالة، ط2، 1419هـ – 1998م.

الماوردي، أبو الحسن. أدب الدنيا والدين. تحقيق محمد الصباح. بيروت: دار مكتبة الحياة، 1987م.

المروزي، محمد بن نصر. تعظيم قدر الصلاة. تحقيق عبدالرحمن الفريوائي. المدينة المنورة: مكتبة الدار، ط1، 1406هـ.

مسلم بن الحجاج. صحيح مسلم. عناية أبي صهيب الكرمي. الرياض: بيت الأفكار الدولية، 1419هـ – 1998م.

المنذري، زكي الدين. الترغيب والترهيب. ضبط أحاديثه مصطفى عمارة. مصر: مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ط3، 1388هـ – 1968م.
النيسابوري (الحاكم)، أبو عبدالله. المستدرك على الصحيحين. الرياض: مكتبة النصر الحديثة، د.ت.
الهيثمي، نور الدين. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد. بيروت: دار الكتاب العربي، ط2، 1402هـ – 1982م.
ابن ماجة، محمد بن يزيد. سنن ابن ماجة. ترقيم محمد عبدالباقي. د.م.: دار الدعوة ودار سحنون، ط2، د.ت.

List of Sources and References

Abn rjb alhnbly wathrh fy twdyh 'eqydh alslf, d. 'ebdallh bn sly man alghfyly, dar almsyr, almmlkh al'erbyh als'ewdyh, alryad, t1, 1418h-1998m.

Aladb alsghyr waladb alkbyr l'ebdallh bn almqf'e, shrh wdrash d. mfyd qmyhh, dar alshwaf, t1, 1989m.

Alfrwq fy allghh, laby hlal al'eskry, hqqh w'elq 'ela hwashyh wwd'e fharsh: jmal 'ebdalghny mdghmsh, m'essh alrsalh, t1, 1422h - 2002m.

Alfwa'ed labn qym aljwzyh, dar 'ealm alfwa'ed llnshr waltwzy'e, mkh almkrmh, t1, 1429h.

Aljwhr almndd fy tbqat mtakhry ashab ahmd, lywsf bn alhsn bn 'ebdalhady alm'erwf babn almbrd, hqqh wqdm lh d. 'ebdalrhmn al'ethymyn, mktbh al'ebykan, t1, 1421h - 2000m.

Alklyat laby albqa' alkfwy, qablh 'ela nskhh khtyh, wa'edh lltb'e, wwd'e fharsh: d. 'ednan drwysh, wmhmd almsry, m'essh alrsalh, t2, 1419h - 1998m.

Alm'ejm alkbyr lltbrany, thqyq hmdy alslfy, mktbh abn tymyh, alqahrh.

Almsa'el al'eqdyh fy ktab fth albary fy shrh shyh albkhary llhafz abn rjb alhnbly drash wsfyh astqra'eyh, lsalh salm 'ebad hsyn, jmhwryh alswdan, 1439h - 2018m.

Almstdrk 'ela alshyhyn, llhakm, mktbh alnsr alhdythh, alryad.

Alqamws almhyt, llfyrwzabady, m'essh alrsalh, t2, 1407h.

Altrghyb waltrhyb llmndry, dbt ahadythh mstfa 'emarh, mktbh mstfa albaby alhlby, msr, t3, 1388h - 1968m.

Alt'eryfat llshryf aljrjany, dar alktb al'elmyh, byrwt, lbnan, t1, 1403h - 1983m.

Alzhd llemam ahmd, wd'e hwashyh mhmd 'ebdalslam shahyn, dar alktb al'elmyh, byrwt lbnan, t1, 1420h - 1999m.

Aswl alnzam alajtma'ey fy aleslam, llshykh mhmd altahr bn 'eash wr, dar alslam, dar shnwn, twns, alqahrh, t2, 1427h - 2006m.

Aldrr alkamnh fy a'eyan alma'eh althamnh labn hjr al'esqlany, dar alm'earf al'ethmanyh, alhnd, t2, 1395h - 1975m.

Ehya' 'elwm aldyn, laby hamd alghzaly, dar alryan lltrath.

Ghryb alhdyth, laby 'ebyd alqasm bn slam, thqyq: d. mhmd bn 'ebdalm'eyn khan, mtb'eh da'erh alm'earf, hydr abad, t1, 1284h - 1964m.

Jam'e al'elwm walhkm, labn rjb alhnbly, thqyq: sh'eyb alarna'ewt webrahym bajs, m'essh alrsalh, t2, 1412h - 1991m.

Jwam'e aladab fy akhlaq alanjab, llshykh jmal aldyn alqasmy, m'essh qrtbh.

Lsan al'erb, labn mnzwr alafryqy, dar alfkr, byrwt.

M'ejm alfaz alqran llastad hamd 'ebdalqadr, mjm'e allghh al'erbyh, 1417h - 1996m.

M'ejm mqayys allghh lahmd bn fars, bthqyq wdbt 'ebdalslam har wn, tb'eh dar aljyl, t1, 1411h.

Mdarj alsalkyn fy mnazl alsa'eryn, labn qym aljwzyh, dar 'ealm alf wa'ed llnshr waltwzy'e, mkh almkrmh, t1, 1440h - 2019m.

Mjm'e alzwa'ed wmnb'e alfwa'ed, llhythmy, dar alktab al'erby, byr wt, t2, 1402h - 1982m.

Mkarm alakhlaq, llkhra'ety, thqyq: aymn albhyry, dar alafaq al'erbyh - msr, t1, 1419h.

Mnhj alhafz abn rjb alhnbly fy al'eqydh, d. 'ely bn 'ebdal'ezyz alsh bl, dar al'easmh, alryad, 1421h - 2001m.

Msnd alemam ahmd bn hnbl, dar ald'ewh, dar shnwn, t2, (d.t).

Shdrat aldhb fy akhbar mn dhb l'ebdalhy bn al'emad alhnbly, alm ktb altjary lltba'eh waltwzy'e, byrwt, lbnan.

Slslh alahadyth alshyhh llshykh: mhmd nasr aldyn alalbany, almktb aleslamy, t4, 1405h.

Snn abn majh, dar ald'ewh, dar shnwn, trqym: mhmd 'ebdalbaqy, t2.

Snn aby dawd, dar ald'ewh, dar shnwn, t2.

Snn altrmdy, dar ald'ewh, dar shnwn, t2.

Shyh abn hban btrtyb abn blban, sh'eyb alarna'ewt, m'essh alrsalh, byrwt, t2, 1414h - 1993m.

Shyh albkhary, llemam albkhary, byt alafkar aldwlyh, 'enayh aby shyb alkrmy, 1419h - 1998m.

Shyh mslm, 'enayh aby shyb alkrmy, byt alafkar aldwlyh, 1419h - 1998m.

Syr a'elam alnbla' lldhby khrj ahadythh washrf 'elyh sh'eyb alar na'ewt, m'essh alrsalh byrwt, t4, 1406h - 1986m.

T'ezym qdr alslah, lmhmd bn nsr almrwzy, thqyq: d. 'ebdalrhmn alfrywa'ey, mktbh aldar, almdynh almnwrh, t1, 1406h.

Tfsyr althryr waltnwyr, llshykh mhmd altahr abn 'eashwr, dar shn wn llnshr waltwzy'e, twns.

Thdyb alakhlaq, lljahz, qrah w'elq 'elyh abw hdyfh ebrahym bn mhmd, dar alshabh lltrath btnta, t1, 1400h - 1989m.

Wjyz alklam fy aldyl 'ela dwl aleslam, thqyq: d. bshar 'ewad m'er wf, wsahbyh, m'essh alrsalh, t1, 1416h - 1995m.

Zad almsyr fy 'elm altfsyr labn aljwzy, almktb aleslamy, byrwt, dm shq, t4, 1407h - 1987m.